



دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم الدعوة

شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي - جمعاً ودراسة

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة

اسم الباحث: أحمد محمد ال يحي

تحت إشراف الاستاذ المساعد الدكتوراً محمد رفيق الاسلام

كلية العلوم الإسلامية - قسم الدعوة

العام الجامعي سبتمبر ٢٠١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

CERTIFICATION OF DISSERTATION WORK : صفحة التحكيم :

PAGE

تم إقرار بحث الطالب:

من الآتية أسماؤهم:

The thesis of has been approved by the following:

المشرف على الرسالة Supervisor Academic

محمد ربيع الإسلام

المشرف على التصحيح Supervisor of correction

وليد العنقاري

نائب رئيس القسم Head of Department

سليمان العنقاري

وكيل الكلية Dean, of the Faculty

السيد محمد العنقاري

قسم الإدارة العلمية والتخرج Academic Managements & Graduation Dept

Deanship of Postgraduate Studies عمادة الدراسات العليا

إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعه.

اسم الطالب : احمد بن محمد ال يحي



التوقيع :

التاريخ : ١٦/١٢/١٤٣٥ هـ – الموافق ١٠ أكتوبر ٢٠١٤

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where
-otherwise stated. Name of student: **Ahmed mohammad AL-Yahya**

Signature 

Date:25/12/1435

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٤ © محفوظة

احمد بن محمد ال يحي

شبهات المستشرقين في العهد المكي جمعاً ودراسة

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
 - ٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو تسويقية.
 - ٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛ إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.
- أكد هذا الإقرار: أحمد بن محمد ال يحي .

التاريخ: ١٦/١٢/١٤٣٥هـ



التوقيع:

ملخص البحث

العنوان شبهات المستشرقين جمعاً ودراسة: إعداد الطالب أحمد بن محمد آل يحيى. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير. كلية العلوم الإسلامية . قسم الدعوة.

المقدمة: تتضمن أسباب اختيار الموضوع وأهميته ،وما أثاره المستشرقون في العصر الحديث من شبهات حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي.

مشكلة الدراسة: في القرن التاسع عشر الميلادي قد أثار المستشرقين في كثير من المسلمين وخاصة أولئك المفكرين والأدباء الذين تعلموا على أيديهم العلوم الإسلامية وأخذوا يؤلفون الكتب لنشر الأفكار والشبهات بين المسلمين .
أهمية الدراسة: تناول قضية الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الإسلام والدعوة إلى الله تعالى .

أهداف الدراسة :

تعريف الاستشراق والمستشرقين .

بيان أهداف الاستشراق و المستشرقين .

بيان شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي .

الردود التي ردت على المستشرقين شبهها تم حول الدعوة في العهد المكي.

مصطلحات الدراسة:

وهي :الشبهات ،المستشرقون ،الدعوة الإسلامية ، العهد المكي .

الفصل الأول

ويتضمن ثلاثة مباحث

المبحث الأول: نشأة الاستشراق وأهدافه.

المبحث الثاني: أهم كتب المستشرقين حول الدعوة في العهد المكي.

المبحث الثالث: الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الدعوة في العهد المكي. وهي واحد وعشرون شبهة .

النتائج والتوصيات :

النتائج : بطلان جميع الشبهات ، صدق رسول الله ﷺ ، المستشرق يبحث و يتعرف على هذا الدين وعلى النبي الكريم ﷺ .

التوصيات : من أهمها تأسيس بنك الكتروني لجمع الشبهات التي تدور حول الدعوة الإسلامية. حتى يسهل على الباحث الوصول إليها.

Research Summary

Title: Orient list's Suspicions, Gathering and Study:

Prepared by the student : Ahmed Bin Mohammed Al Yahya

A dissertation submitted to award the Master degree, faculty of Islamic sciences, Da'wa department

Introduction:

Includes why the subject is chosen, its importance, and what is the impact of the orientalists in the new age, represented by the suspicions raised about the Islamic Da'wa in Makkah era.

Study problem:

Orientalists had a major impact on Muslims in ninth century; this especially influences the researchers and authors who received Islamic sciences by those orientalists, then published their scientific sources to spread suspicions among Muslims.

Study importance:

Discusses the issue of suspicions raised by orientalists around the Islam and Da'awa.

Study terms:

They are: suspicions, orientalists, Islamic Da'wa, Makka era

First chapter:

Includes three studies

١٠٦

First study: emergence and objectives of orientalism

Second study: the most important scientific sources about the Da'wa in Makkah era

Third study: suspicions raised by the orientalists about the Da'wa in Makkah era, they are twenty one suspicions.

Results and recommendations:

Results: annulment of all suspicions, Prophet Honesty, the orientalist searches and

recognizes this religion and our Prophet.

شكر وعرفان

وفي الختام أتوجه بالشكر والحمد والثناء لله عز وجل على ما أسبغه على من نعم ظاهرة وباطنة لا أحصي لها عدا ، التي منها تيسيره وعونه على إنجاز هذا البحث ، فله الحمد جل وعلا في الأولى والآخرة ، حمدا يليق بجلال وجهه وبِعظيم سلطانه .

وأثني بالشكر والتقدير لوالدي الكريمين اللذان كان لهما أبلغ الأثر في تنشئتي وتوجيهي لطلب العلم ووقوفهما معي في هذه الدراسة بكثرة دعواتهما لي ، أسأل الله أن يمد في عمرهما على طاعته وأن يجزيهما عني خير الجزاء ، وأسأله الله أن يعينني على برهما على الوجه الذي يرضيه .

وبعد ذلك أرى لزاما علي أن أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني للمشرف على هذه الدراسة الدكتور/ محمد رفيق الإسلام ، الذي رعى هذا البحث منذ كان بذرة حتى أستوى على سوقه ، والذي لم ييخل علي قط بتوجيهاته السديدة ، وآرائه القيمة ، بل كان يرعى البحث رعاية أبوية كريمة ، وفتح له قلبه ، وأولاه الكثير من وقته الثمين ، وكان لي بعد الله نعم العون طيلة إعداد هذا البحث .

كما أني أتقدم بالشكر وجزيل الثناء العاطر إلى جامعة المدينة العالمية على ما أولته وتوليه لطلبة العلم من رعاية واهتمام . ولكلية العلوم الإسلامية وأعضاء مجلس الدعوة وأصول الدين ، ومجلس الكلية وكافة الأساتذة الفضلاء على جهودهم الطيبة .

كما اشكر كل من أعانني على إتمام هذا البحث أو أفادني بمعلومة أو توجيه أو إرشاد من الأساتذة الفضلاء ، أو الزملاء الكرام واخص بالذكر أخي وزميلي الدكتور محسن الزهراني ، وأسأل الله أن يجزل لهم جميعا الأجر والثوبة وأن يوفقنا جميعا لما يحببه ويرضى .

وختاما، فإن البحث كغيره من الأعمال البشرية يعتريه الزلل والقصور ، فالكمال لله وحده دون سواه ، فما كان فيه من حق وصواب فمن توفيق الله وحده لا شريك له ، لا أحصي ثناءً عليه ، وما كان فيه من زلل ونقصان فمن نفسي والشيطان . والله ورسوله منه بريتان ، ونسأله جل وعلا العفو والغفران .

ونسأله سبحانه وتعالى أن يصلح لنا جميعا الظاهر والباطن وأن يوفقنا لإخلاص العمل له وحده ، وأن يعاملنا بعفوه ورحمته أنه ولي ذلك والقادر عليه . وأصلي وأسلم على خير البشرية محمد بن عبد الله أزكى صلاة وأتم سلام وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٧	الفصل الأول: الاستشراق والمستشرقون، وتحتة ثلاثة مباحث
٧	المبحث الأول: نشأة الاستشراق وأهدافه
١٥	المبحث الثاني: أهم كتب المستشرقين حول الدعوة في العهد المكّي
	المبحث الثالث: الشبهات التي أثارها المستشرقين حول الدعوة إلى الله في العهد المكّي، وهي
١٦	إحدى وعشرون شبهة، مع الرد عليها
١٦	الشبهة الأولى
١٩	الشبهة الثانية
٢١	الشبهة الثالثة
٢٥	الشبهة الرابعة
٣٠	الشبهة الخامسة
٣٥	الشبهة السادسة
٣٨	الشبهة السابعة
٤٢	الشبهة الثامنة

٤٦ الشبهة التاسعة
٤٨ الشبهة العاشرة
٥٠ الشبهة الحادية عشر
٥٣ الشبهة الثانية عشر
٥٩ الشبهة الثالثة عشر
٦٣ الشبهة الرابعة عشر
٧٠ الشبهة الخامسة عشر
٧٢ الشبهة السادسة عشر
٧٧ الشبهة السابعة عشر
٧٨ الشبهة الثامنة عشر
٨١ الشبهة التاسعة عشر
٨٢ الشبهة العشرون
٨٥ الشبهة الحادية والعشرون
٨٨ الخاتمة والتوصيات
خ ملخص البحث بالعربي
ذ ترجمة ملخص البحث

ز	شكر وعرفان
٩١	فهرس الآيات
٩٥	فهرس الأحاديث
٩٧	فهرس الأعلام المترجم لهم
١٠١	فهرس المصادر والمرجع

التمهيد

مقدمة الدراسة:

واجه الرسول ﷺ كثيراً من عداوات الخلق من أول يوم دعا فيه علانية إلى الإسلام، ولا يزال حتى يومنا هذا يواجه بالتكذيب، وقد سجّل القرآن الكريم في أكثر من موضع هذا الاتهام الذي رماه به المشركين من قومه، وردد هذا الاتهام النصارى واليهود، أما إذا اطلعت على خارج المحيط العربي، فتجد أن حكم الرومان كان شديد القسوة عليه ﷺ، حيث اتهموه بأنه استولى على أموال خديجة وماشيتها، ولما افتضح أنه مصاب بالصرع، أراد أن يواسيها فزعم لها أن جبريل السكّين ينزل عليه بالوحي من السماء، وإذا كان غضا الطرف عن تهمة الصرع ممكناً، فلا يمكن غضه أمام تهمة الكذب التي تبدو واضحة للعيان. والاستشراق يشكل الجذور الحقيقية التي كانت ولا تزال تقدم المدد للتنصير والاستعمار، وتغذي عملية الصراع الفكري البلاد المستعمرة، وتشكل المناخ الملائم من أجل فرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي وإخضاع شعوبه لسيطرتها، فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين بمواد يسوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته، وقد جاء هذا الغزو الثقافي ثمرة لإخفاق الغزو العسكري وسقوطه، ولتريبة جيل بعد الاستعمار. إن الهجوم على دين الله -دين الإسلام- ومحاربه ظاهراً ليست بالحديثة العهد أو الجديدة المظهر. إنها ظاهرة يلاحظها كل مؤمن بالله من خلال قراءة كتب السير، والتاريخ وما كان من أعداء الدين الإسلامي في الماضي وما يمكن رؤيته رأي العين مما يجري من أحداث في الزمن الحاضر. والمستشرقون يتخبّطون في تفسير مظاهر الوحي منهم من يرجع ذلك إلى «صَرَغ» كان ينتاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - حيناً بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ومنهم من يُفسِّرُها بمرض نفسي.

وفي العصر الحديث أثار المستشرقون كثيراً من الشبهات حوله ﷺ وحول دعوته، وسنعرض في هذه الدراسة أهم شبهة المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي.

مشكلة الدراسة:

مما لا شك فيه أن المستشرقين في القرن التاسع عشر الميلادي قد أثروا في كثير من المسلمين وخاصة أولئك المفكرين والأدباء الذين تعلموا على أيديهم العلوم الإسلامية وأخذوا يؤلفون الكتب لنشر الأفكار والشبهات بين المسلمين، وقد تعددت كتابات المستشرقين قديماً وحديثاً حول هذه الدعوة، والتي ظهر من خلال أكثرها الجهل المطبق بحقيقة الدعوة، ووصفها بخلاف الواقع، والطعن في الإسلام من خلال الطعن في الدعوة وأتباعها حيث كثرت الطعون والتهم لهذه الدعوة المباركة، ونحن بدورنا نحصر على بيان صفاء هذه الدعوة الإسلامية من شبهات المستشرقين، والدفاع عنها ومن المتيقن أن حقائق التاريخ ووقائعه الصادقة تثبت دائماً عكس اتهامات المستشرقين؛ فأحببت في هذا البحث إبراز هذه الحقائق، وتنبية الأذهان إلى أهميتها ، للاستشهاد بها في الدفاع عن الإسلام وعن الدعوة الإسلامية. ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

ما شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي ؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم الاستشراق وماهي أهدافه.
٢. ما الشبهات التي أثارها المستشرقين حول الدعوة في العهد المكي .
٣. ما الردود التي ردت على المستشرقين شبههم التي أثاروها حول الدعوة في العهد المكي

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع، إذ إن تناول قضية الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الإسلام والدعوة إلى الله تعالى، من أوجب الواجبات؛ لأنها من دفع المطاعن عن هذا الدين الحنيف، إلا أنني لم أقف على كتاب أو رسالة كتبت حول هذه الشبهات مجموعة، ولكنني وجدت كتابات متفرقة هنا وهناك، ومن أهم تلك المراجع التي عنيت بذلك:

١. كتاب ردود علماء المسلمين، على شبهات الملحدين والمستشرقين، لمحمد ياسين.
٢. ردود الشيخ الزر قاني- رحمه الله - ، صاحب كتاب " مناهل العرفان " فقد عقد فيه فصلاً للرد على شبه المستشرقين حول المكي والمدني، في غضون حديثه عنهما.
- وغيرها من الكتب التي اعتمدت عليها في تكوين مادة هذا البحث .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي :

١. تعريف الاستشراق والمستشرقين .
٢. بيان أهداف الاستشراق و المستشرقين .
٣. بيان شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي .
٤. الردود التي ردت على المستشرقين شبههم حول الدعوة في العهد المكي.

مصطلحات الدراسة :

١. الشبهات : في الحديث المتفق عليه : إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن ، وبينهما مُشْتَبِهَات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام .. الحديث .(١)

ويعرف الباحث الشبهة بأنها ما التبس فيه الباطل بالحق.

٢. المستشرقين : يطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة ، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

٣. الدعوة الإسلامية: هي دعوة الناس الدخول في طاعة الله تبارك وتعالى، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والالتزام بشرائعه أي التدين بالدين الإسلامي الحنيف الذي اختاره الله تبارك وتعالى لخلقه والعمل بتعاليمه.

(١) راوي الحديث النعمان بن بشير هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري المدني ولد في السنة الثانية من الهجرة، قال الواقدي: كان

أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وعائشة، وروى

عنه ابنه محمد ومولاه حبيب بن سالم والشعبي وآخرون، ولي الكوفة في عهد معاوية، ثم ولي حمص لابن الزبير، وبما قتل وذلك سنة

أربع وستين أو خمس وستين.

٤. العهد المكي :يبدأ ببعثة النبي صلى الله عليه و سلم على رأس الأربعين من عمره، وينتهي بالهجرة النبوية من مكة إلى المدينة و مدته ثلاثة عشر عاما ، و ينسب إلى أم القرى مكة المكرمة ، و لا تخفى مكانة هذه المدينة الدينية في حياة الأمة الإسلامية ،ففيها بيت الله الحرام قبله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

الدراسات السابقة.

دراسات تطرقت إلى :

١. مفهوم الاستشراق: للدكتور أنور محمود زناطي. كاتب وأكاديمي مصري في مجال التاريخ والحضارة .ويعمل في جامعة عين شمس .(كتب عن صدام الحضارات والاستشراق وافتراءات الغرب على الإسلام)

٢. الرد على الشبهات: لشميم بن احمد بن عبد الحكيم. منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات دراسة منهجية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. (رسالة دكتوراه)

٣. العهد المكي: في ظلال السيرة النبوية - في العهد المكي.للداعية الإسلامي المصري راغب السر جاني.(أستاذ مساعد جراحة المسالك البولية بكلية الطب جامعة القاهرة).

٤. الشبهات : شبهات الملحدين والمبشرين .للدكتور إبراهيم عوض .(أستاذ النقد في كلية الآداب في جامعة عين شمس بمصر).

٥ . الفرق بين دراستي والدراسات السابقة .إن دراستي هي في الشبه التي دارت حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي فقط.بينما الدراسات السابقة خليط بين المرحلتين المكية والمدنية

٦ . الجديد إن لدراستي ارتباط وثيق بجوانب مرحلية لان هذه المرحلة كانت تفرض كسر طوق أفكار الجاهلية وتفنيده شبه المستشرقين .وهذه الدراسة لها تأثير فعال في تذليل الصعوبات التي يواجهها الباحث في جمع شبه المستشرقين حول الدعوة الإسلامية في العهد المكي وتفنيدها.

منهج الدراسة:

كان منهجي على النحو التالي:

١. استفدت خلال الدراسة من بعض المواقع في الشبكة العنكبوتية.
٢. عند الرد على الشبهة ابدأ بذكرها، ثم اثني بالرد عليها بما تيسر من نصوص الكتاب والسنة، وأقوال العلماء، عاضداً ذلك بالحوادث والوقائع التاريخية، حسبما يقتضيه المقام.
٣. ركزت في البحث على إبراز المواقف السلبية، وطعون المستشرقين تجاه الدعوة الإسلامية
٤. عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم، وخرجت الأحاديث، واجتهدت في بيان درجتها، من حيث القبول أو الرد.
٥. ترجمت الأعلام في هذه الدراسة، إضافة إلى أعلام المستشرقين .
٦. بينت معاني الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى شرح .

الفصل الأول

المبحث الأول: نشأة الاستشراق وأهدافه.

المبحث الثاني: أهم كتب المستشرقين حول الدعوة في العهد المكي.

المبحث الثالث: الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الدعوة في العهد المكي.

المبحث الأول: نشأة الاستشراق وأهدافه :

مفهوم كلمة الاستشراق والمستشرقين، وما تدل عليه، في اللغة والاصطلاح.

أولاً: المعنى اللغوي:

عند النظر إلى لفظة "استشراق" نجد أنها مصاغة على وزن استفعال، فهي في أصلها

مشتقة من كلمة "شرق"، ثم أضيف إليها الألف والسين والتاء، الدالة على الطلب، فبذلك

يصبح معناها طلب الشرق .

أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق

الجغرافي، وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية. ^(١)

(١) التعريف من شبكة الألوكة:

<http://www.alukah.net/culture/0/47002>

ثانيًا: المفهوم الاصطلاحي:

إن مفهوم الاستشراق يعني علم الشرق، أو علم العالم الشرقي، ^(١) وعرف البعض الاستشراق أيضًا بأنه: ذلك التيار الفكري، الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ^(٢)

وبصفة عامة يمكن تعريف الاستشراق بأنه: أسلوب من الفكر، قائم على تمييز وجودي ومعرفي، بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية، قام عليها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة و ثقافة وحضارة وتاريخ وثروات وإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض، أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية، كالتركية والفارسية، وغيرها من اللغات؛ لأهداف متنوعة، ومقاصد مختلفة. ^(٣)

أما المستشرق فهو: عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه. ^(٤)

وبعد حديثنا عن معنى الاستشراق في اللغة والاصطلاح، ننتقل للحديث حول نشأة هذا

الاستشراق:

معظم المحققين لهذه المسألة يكادون يجمعون على أن بداية هذه الحركة نشأت في نهاية القرن العاشر الميلادي، وأوائل القرن الحادي عشر بفرنسا، وأن الراهب الفرنسي (جريردي أولياك

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود زقزوق، (بدون ناشر، وبدون طبعة) ص: ١٨.

(٢) الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين النعيمي . بدون ناشر. ص: ١٦، والموسوعة الميسرة في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. حماد الجهني ط.

دار الندوة العالمية (٢/ ٦٨٧).

(٣) من شبكة الألوكة:

<http://www.alukah.net/culture/0/47002>

(٤) يحيى مراد ردود، على شبهات المستشرقين، (بدون ناشر وبدون طبعة) (ص : ٢٤).

٩٣٨ - ١٠٠٣م)^(١) كان من أوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق، إذ رحل فتعلم اللغة العربية ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب وغيرها، كما قرأ بعض العلوم الدينية، حتى قيل: إنه كان أوسع علماء عصره معرفة بعلوم العرب، وخاصة في الرياضيات والفلك.

وقد استطاع جرير دي أن ينشئ مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، ثم أنشأ بعد ذلك مدرسة ثالثة تسمى مدرسة "شارتر"، ويرجع الفضل إلى هذا الراهب في انتشار الأعداد العربية في أوروبا التي كانت ينقصها رقم الصفر، ولم تكن تعرفه حتى نقله إليها (جرير دي أولياك) من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية.

ثم جاء بعده (قسطنطين الإفريقي ١٠٨٧م)^(٢)، و(بطرس المحترم ١٠٩٢ - ١١٥٦م)^(٣) وغيرهما، ثم تتابع رواد هذه الحركة وتكاثرت أعدادهم واختلفت جنسياتهم، بحيث شملت معظم دول أوروبا وأمريكا في العصر الحديث.

ثم أخذت بعد ذلك حركة الاستشراق تنمو في اطراد مستمر حتى ١٣١١ - ١٣١٢م، حيث عقد مؤتمر فينّا^(١) الكنسي، وكان من أهم قراراته إنشاء كرسي للغة العبرية والعربية في معظم

(١) أول من اشتغل بعلوم الشرق بحثًا ودراسة كان راهبا وقسيسا ثم بابا لروما فيما بعد.

(٢) طبيب مستعرب، ولد بقرطاجة أو القيروان، كان مسلماً، ثم تنصر وهرب إلى إيطاليا. ترجم بعض المؤلفات العربية، وخاصة الطبية، إلى اللاتينية، منها: كامل الصناعة، لعلي بن العباس، وزاد المسافر، لابن الجزار، وترجم كتباً للرازي، وإسحاق الإسرائيلي. وكانت كتاباته تستخدم في أوروبا إلى القرن السابع عشر ميلادي. (المستشرقون والتنصير، علي بن إبراهيم النملة، (بدون تاريخ) ص: ١٠٩، وموسوعة ويكيبيديا الإلكترونية).

(٣) راهب ولاهوتي فرنسي. أصبح رئيساً لدير كلوني فقام بإدارة الدير وجماعة كلوني بحزم. وأصلحه إصلاحاً واسعاً، وضمن له ولفروعه العديدة في فرنسا وإسبانيا وغيرها موارد مالية واسعة نتيجة اتصالاته السياسية بأمرأ فرنسا وإسبانيا، توفي في ١١٥٦م. (موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ص: ١١٠).

جامعات أوروبا؛ فتأسس كرسي اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان^(٢)، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد^(٣) على نفقة ملك إنجلترا، ويرى كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة.^(٤)

مما سبق من عرض نشأة المستشرقين، التي تتابع عليها المتأخرون بعد المتقدمون، فإن العاقل الحصيف يجزم ويدرك أن من وراء هذا النتاج أهدافاً مرامه، وآمالاً مراده، فهل يا ترى ما هي تلك الأهداف التي جعلوها نصب أعينهم؟.. وروضوا أنفسهم لتحمل متاعب الوصول إليها؟ تنقسم أهداف المستشرقين في جملتها من الدراسات الاستشراقية الى ثلاثة أقسام:

أ. هدف علمي مشبوه.

١ - التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ .

٢ - إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله.

٣ - التشكيك في صحة الحديث النبوي.

(١) عاصمة النمسا، والمركز الثقافي الرائد في أوروبا، وهي مدينة مشهورة بمعارض الفنون والكنائس والمسارح، ويُعدُّ مسرح بيرج، أحد معالم فيينا الكبيرة. (الموسوعة العربية العالمية، عمل موسوعي شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، بدون تاريخ) مادة "فيينا" ص: (١).

(٢) مدينة إيطالية، وهي أصغر دولة مستقلة، وهي المركز الروحي الذي يقوم بتوجيه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وكثيراً ما تستخدم "الفاتيكان" للإشارة إلى البابا أو حكومة الفاتيكان. (الموسوعة العربية، مادة "الفاتيكان"، ص: ١، ٣).

(٣) مدينة ذات حكم محلي، تقع في مقاطعة أكسفورد في إنجلترا، وهذه المدينة مقر جامعة أكسفورد التي تعتبر من أقدم المعاهد الثقافية في أوروبا، وتقع مدينة أكسفورد على نهر شيرويل، والتايمز على بُعد ٨٠ كم شمال غربي لندن. (الموسوعة العربية، مادة "أكسفورد" ص: ١).

(٤) محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير، دار قباء (بدون تاريخ) ص: ١٤ - ١٥.

ب. الأهداف الدينيّة والسياسية، وتتلخّص في ما يلي:

- ١ - تشكيك المسلمين بنبيّهم وقرآهم وشريعتهم وفقههم.
- ٢ - تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري.
- ٣ - إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثُلٍ عليّا.

ج. أهداف علميّة خالصة:

وهذه الأهداف لا يقصد منها سوى البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والإسلامي، دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية، وهذا الصنف قليل عدده جداً.^(١)

وكان مما اعتمد عليه المستشرقون كوسائل لتحقيق أهدافهم:

- ١ - تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه.
- ٢ - إرساليات التبشير^(٢) إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر.
- ٣ - إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ومن المؤسف أنّ أشدّهم خطراً وعداءً للإسلام كانوا يُستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية ليتحدّثوا عن الإسلام!
- ٤ - اكتساب العضوية في مجامع اللغة العربية.
- ٥ - إنشاء الموسوعة " دائرة المعارف الإسلامية"^(٣)

(١) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، (ص: ٢٥-٣٢)، والموسوعة الميسرة (٢/ ٦٩١).
(٢) هو الدعوة إلى الدين النصراني، وهي لفظة محدثة معناها التدليس على السامع والقارئ، ولذلك فإن الأولى فيها أن يقال: "التنصير". (المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، (بدون تاريخ) ٥٨/١) بتصرف .
(٣) موسوعة أكاديمية تعنى بكل ما يتّصل بالحضارة الإسلامية، سواء من الناحية الدينية أو الثقافية أو السياسية أو الجغرافية على امتداد العصور، بما في ذلك العصر السابق للإسلام، وتعد هذه الموسوعة أهم مؤلف استشرقي على

وقد أصدروها بعدة لغات. (١)

بعد أن عرجنا على نشأة المستشرقين، وأهدافهم التي يرمون الوصول إليها، ثم عرفنا الوسائل التي يسلكونها لتحقيق أهدافهم، بقي أن نعلم ما هي المناهج التي انتهجوها في سبيل الوصول إلى غايتهم المنشودة، والتي مازالوا يُدندنونَ حولها، ويلهثون وراءها:

من الصعب جعل مناهج المستشرقين في اتجاه واحد، في كل الأزمان والأوقات، وفي كل الموضوعات التي تناولوها، ولكن يمكن إجمال هذه المناهج التي يشترك فيها عدد كبير من المستشرقين قديماً وحديثاً في تناول العلوم الإسلامية عمومًا، في النقاط التالية:

١- محاولة ردّ بعض معطيات الدين الإسلامي إلى أصول يهودية ونصرانية، وهذا الأمر يتمثل في كثير من الكتابات حول الوحي، وحول القرآن الكريم، وحول السنة المطهرة.

٢- التشكيك في صحة الحديث النبوي.

٣- البحث عن الضعيف والشاذ من الروايات والاعتماد عليه، ما دام في خدمة مصلحتهم.

٤- الخضوع للهوى، والبعد عن التجرد العلمي، والمنهج الانتقائي، وإثارة الشكوك في معطيات السنة والتاريخ.

٥- التحريف والتزييف والادعاء المتعمد. (٢)

(١) الاستشراق والمستشرقون (ص:٣٣)، و الاستشراق في السيرة النبوية (ص:٢٦).

(٢) الاستشراق أهدافه ووسائله، محمد فتح الله الزيايدي، دار قتيبة (ص:١١٧، ١٢٠)، وشبكة الرد الالكترونية

العلمية <http://alradnet-vb.com/vb/forumdisplay.php?f=21>

وفيما يلي سرد لبعض رموز المستشرقين الذين وسموا بأنهم أشد عداً وحقدًا على الإسلام والمسلمين. هؤلاء الذين استحبوا العمى على الهدى، وأضلهم الله على علم.

١. بارون كارادي فو :

فرنسي متعصب جداً ضد الإسلام والمسلمين، ساهم بنصيب بارز في تحرير " دائرة المعارف الإسلامية "

١. جولد زيهر :

بحريّ عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، ومن مُحَرِّري " دائرة المعارف الإسلامية "، كتب عن القرآن والحديث.

٢. غ. فون جرونيباوم :

ألماني يهودي، مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعة لها، وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام، ترى في جميع كتاباته تحبُّطاً واعتداءً على القيم الإسلامية والمسلمين.

٣. أ.ج. فينسينك :

عدوٌ لدود للإسلام ونبئهِ، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ثم أخرج منه، وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى.

٤. د. ب. ماكدونالد :

أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، مبشّر. من كبار مُحَرِّري " دائرة المعارف الإسلامية " .^(١)

وبعد فإن المتبادر إلى ذهن كلِّ من قرأ ما سبق من الكلام عن تاريخ هؤلاء القوم، ووقف على أهدافهم وأساليبهم، ثم نزل عند أسماء المتعصبين منهم، أنهم على حدِّ سواء في المكر

(١) المستشرقون ما لهم وما عليهم (ص: ٤٩/٣٩)، ومو ٢١ | يان الميسرة (٢/٦٨٩/٦٩١).

للإسلام، والكيد لأهله، بل هو لا يتوقع ممن هذه صفته أن ينصف الإسلام ولو في موقفٍ من موافقه، ولحو هذه العبرة، وإزالة هذه الخاطرة، نورد بعضاً ممن وسموا بأنهم أنصفوا للإسلام:

١- هادريان ريلاند :

أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوت رشت ب هولندا، له كتاب الديانة المحمدية باللغة اللاتينية ، إلا أن الكنيسة في أوروبا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها!؟

٢- يوهان ج. رايسكه :

وهو مستشرق ألماني جدير بالذكر، اتهم بالزندقة؛ لموقفه الإيجابي من الإسلام، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا.

٣- سلفستّر دي ساسي :

اهتم بالأدب والنحو، مبتعداً عن الخوض في الدراسات الإسلامية، وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية.

٤- توماس أرنولد :

إنجليزي، له: الدعوة إلى الإسلام، الذي نقل إلى التركية والأردية والعربية.

٥- غوستاف لوبون :

مستشرق وفيلسوف مادي، لا يؤمن بالأديان مطلقاً، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة

بإنصاف الحضارة الإسلامية، مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره.^(١)

المبحث الثاني: أهم كتب المستشرقين حول الدعوة في العهد المكي :

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٦٨٩).

كثيرة هي تلك الشبهات التي أثّرت وتثار حول الدعوة المكية، وكثيرة هي تلك الأسفار التي حملت هذا الموضوع ووضع في أحشائها، ولكننا ومع كثرتها فلن نتطرق إلى الحديث حولها كلها، بل سيقصر حديثنا على سفرين نظن أنهما يسدان مسد تلك الجموع الكثيرة من الأسفار :

١. محمد ﷺ في مكة، ومؤلف هذا الكتاب هو المستشرق الإنجليزي ويليام مونت غمري وات^(١).

وقد قام بترجمته إلى العربية: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ. راجع الكتاب وعلق عليه: د. أحمد شلبي. قامت بنشره: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، عام ١٤١٥م. ويقع في مجلد واحد.

٢. مذاهب التفسير الإسلامي، بحث في اختلاف المصاحف ونشأة القراءات ومدارس التفسير وخلافات الفرق حول النص وتفسيره، ومؤلف هذا الكتاب هو المستشرق الذي عرف بعدائه للإسلام: جولد زيهر^(٢). ترجمه إلى العربية وحققه: عبد الرحمن النجار. قدم له: عبد الرحمن بدوي، ويوهان فوك. قام بنشره: دار ومكتبة بيبليون، ضمن سلسلة: نظرات استشرافية في الإسلام وتأريخه عام ٢٠١١م. ويقع في مجلد واحد.^(٣)

(١) مستشرق إنجليزي معاصر (١٤ مارس ١٩٠٩ - ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦م)، عمل أستاذًا ورئيسًا لقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة أديرة لمدة خمسة عشر عامًا، حتى تقاعده سنة ١٩٧٩م، وقد قام خلال هذه الفترة بتدريس الإسلام، عقيدة وتاريخًا وحضارة لعدة أجيال من الطلبة، وكثير منهم مسلمون (عرب وباكستانيون). من أشهر كتبه: كتاب محمد في مكة ١٩٥٢م، وكتاب محمد في المدينة ١٩٥٦م. موقع المكتبة الشاملة

<http://shamela.ws/index.php/author/1388>

(٢) تقدمت ترجمته ص ٢١: ، ضمن المستشرقين الذين هم أشد عداوة وحقداً على الإسلام وأهله.

(٣) موقع نيل وفرات. كوم

<http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb180034-143216&search=books>

المبحث الثالث:

الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الدعوة إلى الله في العهد المكّي والرد عليها.

الشبهة الأولى:

طعنهم في مصداقية الرسول ﷺ في الدعوة إلى ربه التي أمر بها، وأنه كان يريد الزعامة والملك .

قدّم بعض المستشرقين جملة من النظريات المنحرفة لتفسير النهضة التي قامت بين العرب وظهور الدولة الإسلامية ، وحاولوا جاهدين أن يلغوا الصبغة الدينية لهذه الحركة التاريخية وقد أدّى ذلك إلى أن قامت نظرية عند بعضهم، تزعم أن النبي ﷺ كان رجلاً يطمح إلى الملك والسيطرة على مقاليد الأمور؛ فوضع لنفسه خطة تعتمد على تجميع الناس من حوله والتغريب بهم من منطلق هذا الدين الجديد، والمستشرقون في نظريتهم هذه ينظرون إلى النبي ﷺ نظرهم إلى رجال دينهم، الذين أكلوا أموالهم واستعبدوهم وأذلوهم باسم الدين.

ومعلوم أن الدعوة التي أتى بها النبي ﷺ تشمل ما ذكره من جوانب السياسة والإصلاح ، لكن المشكلة تكمن في الاقتصار على هذه الجوانب ونزع الطابع النبويّ منها ، وإلباسها ثوباً مادياً مجرداً .

وسنقوم بتعرية هذه الآراء المنحرفة وبيان بطلانها . - عرضها على الواقع التاريخي وفق ما يقتضيه المنهج العلمي، كي يتبين لنا عَوْرُها، وذلك من أربعة وجوه :

الأول : إن اتصاف رسول الله ﷺ بالحزم والثبات، وعدم تقديم أية تنازلات لينفي قطعاً مثل هذا الادعاء؛ إذ إن من صفات السياسيين أن يدوروا في فلك مصالحهم الشخصية ، وما يقتضي ذلك من الاتصاف بالمرونة في التنازل عن بعض الثوابت أو شيء من المبادئ.

لكن الشأن مع رسول الله ﷺ على النقيض من ذلك، ولذلك نجد موقفه واضحاً جلياً في الموقف الذي يستوقفنا، وهو ذلك الموقف الذي عرضت فيه قريش إغراءاتها عليه، فلم يزد ، أن فجرها مدوية قائلاً : " يَا عَمُّ وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ".^(١)

ثانياً : لو كان الملك غايته، لكان في عرض قريش له - وهو ضمن العروض في الحديث السابق - أن يجعلوه ملكاً طريقاً مختصراً لهذه الغاية ، لكنه أبى ذلك ، وتمسك بمبدأ نبوته، مما ينفي صحة هذا الادعاء .

ثالثاً : من المعلوم أن مكة ومن حولها كانت وثنية من جهة، متغلغلة في أحوال الفقر من جهة أخرى، ومرجع الفقر الذي ألمّ بالسياسة التي انتهجها اليهود مع العرب في إغراقهم بالربا، إلى حدّ ذلت أعناقهم .

ومن البداهة والحال هذه أن يتخذ النبي ﷺ سراً طرقاً للوصول إلى الحكم ، بأن يعلنها حرباً على اليهود، مستغلاً روح الكراهية التي نمت في نفوس المكّيين كردّة فعلٍ تجاه هذا الظلم

(١) (ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ج١ ص ١٠١) مكتبة ومطبعة مصطفى ألباني الحلبي وأولاده بمصر. (يا عم والله لو وضعوا... ليس حديث إنما هو رواية تاريخية)
رواة الحديث : ابن إسحاق في سيرته ، الطبري والبيهقي في الدلائل بإسناد منقطع ، البخاري في التاريخ ، أبو يعلى في مسنده، الحاكم في المستدرک. كلهم من طريق طلحة بن يحيى بن موسى عن عقيل بن أبي طالب مرفوعاً بلفظ(أما أنا بأقدر أن ادع ذلك منكم أن تشعلوا منها يعني الشمس شعلة) حديث صحيح عن الألباني . بعض العلماء يرون الاستدلال بالحديث الضعيف من فضائل الأعمال.

والاستبداد، مع ضرورة السكوت عمّا يثير قومه عليه من ذم الأوثان والأصنام أو النيل من مكانتها .

لكن العجيب في الأمر أن النبي ﷺ اختار أصعب الطرق وأكثرها وعورة في حياته، لقد كانت مبدأ دعوته هي نبد الأصنام وتسفيهاها ، الأمر الذي أدّى إلى كراهية قومه - الذين هم أولى الناس بنصرته - لهذه الدعوة الجديدة؛ فكان التعذيب له ولأصحابه وتشريدهم عن ديارهم، وكل ذلك يدلنا أن مقصده لم يكن له علاقة بالتملك والسيطرة، إنما هو في إخراج الناس من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد .

رابعًا : إن الملوك المعاصرين للنبي ﷺ ممن هم ساسة للأمم كانوا مدركين لطابع النبوة في شخصيته، ويتضح هذا من خلال مواقفهم التي اتخذوها تجاه هذه الدعوة الجديدة، واعترافهم التي سجّلوها في هذا الصدد ، ومن أقرب الأمثلة على ذلك ، موقف النجاشي ملك الحبشة^(١)، فإنه لم يفهم من دعوة النبي ﷺ الرغبة في الزعامة السياسية ، بل تجاوز ذلك إلى الإيمان بدعوة هذا النبي ، أترأه يدعن لرجل يطمح إلى الزعامة المجردة، في وقت لم يكن ذلك الرجل يملك من أمر نفسه ولا من أمر أصحابه شيئًا؟! ^(٢)

إني حَسِدتُ فزادَ اللهُ في حَسْدي . . . لا عاشَ مَنْ عاشَ يوماً غَيْرَ محسودٍ

ما يُحْسَدُ المرءُ إلا مِنْ فضائلِهِ . . . بالعلم والظرفِ ، أو بالبأسِ والجُودِ

(١) هو : أصحمة بن أبحر النجاشي ملك الحبشة، واسمه بالعربية: عطية، والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي ﷺ، ولم يهاجر إليه، وكان ردًا للمسلمين نافعًا، وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام، وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلواته ﷺ صلاة الغائب عليه.(الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر ٢٠٥/١).

(٢) موقع المقالات

<http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=87576>

الشبهة الثانية:

الظعن في حقيقة دعوة الرسول محمد ﷺ ، ونسبتها إلى الإصلاح الاجتماعي، دون الوحي السماوي.

لا شك أن النبي ﷺ بُعث ليتمّ مكارم الأخلاق، ويضيف إلى الإنسانية الكثير من المعاني السامية، والمثل العليا، وإن البعد الأخلاقي في مبادئه واضح بلا مرأى، لكن أن يخلو للبعض أن يفسّر دعوته بانتحال النبوة، والاحتيال باسم الدين، كي يسهم في انتشار قومه من الانحلال الخلقي، ومحاربة الهيمنة القبلية، فهذا ما لا يقوله عاقل منصف، عرف التاريخ، أو اطلع على جزء من حياة النبي ﷺ .

والنقاط التالية تبين أنها لا تعدوا أن تكون أفكاراً نابعة من نفوس مغرصة :

النقطة الأولى : إن جوانب الحياة الاجتماعية تشمل على البعد المنظم لعلاقة الإنسان بنفسه ، والبعد المنظم لعلاقته بمن سواه، ولو كان النبي ﷺ مجرد مصلح اجتماعي لكان تركيزه الأعظم على هذين البعدين، بينما نرى في الواقع أن العماد الحقيقي الذي قامت عليه دعوته هو بُعد أعمق من القضيتين السابقتين، إنه البعد العقدي، والمتمثل في علاقة الإنسان بخالقه ومولاه .

لقد تركزت الدعوة الإسلامية في أكثر مظاهرها بالعبادة وتوحيد الله ﷻ، وهذا البعد ليس له علاقة مباشرة بالإصلاح الاجتماعي، فما بال النبي ﷺ يأمر الناس بعبادة الله وحده ؟ وما علاقة الأخلاق بتحمّل أعباء تكاليف تُشغل بمحملها حياة الإنسان اليومية ؟

وهنا قد يقول المستشرقون : إن لهذه التكاليف أثراً في ترويض الروح على الفضيلة، لكن هذا لا يتماشى مع النهي عن عبادة الأصنام، ولا مع وجوب البراءة من الكفر والكافرين، مما يجعلنا نقطع بتهافت مثل هذا الرأي .

النقطة الثانية : إن هذا التفسير النظري ليقف عاجزاً عن تفسير بكاء الصحابة العائدين من الغزوات إذ لم تُكتب لهم الشهادة، ويقف عاجزاً كذلك عن تفسير حرصهم على قتال ذويهم وبنو جلدتهم، حتى ترى الوالد يقتل ولده، والأخ يقتل أخاه، كل ذلك في سبيل هذه الدعوة الجديدة، كما أن هذه النظرية لتعجز عن تفسير رضا المهاجرين أن يتركوا ديارهم وأموالهم، ويختاروا مفارقة الأوطان، إلى مصير غير معلوم، لو لم يؤمنوا بنبوته ﷺ.

النقطة الثالثة : إن المتطّلع إلى محتويات الدين الإسلامي يجد فيه العديد من التشريعات المختلفة والأنظمة المحكمة الدقيقة، خصوصاً ما يتعلّق بجوانب القضاء والإفتاء والحدود، والشأن في المناهج الأرضية القويّة أن تجتمع عقول كثيرة لكي تُخرج بنظام متكامل كهذا النموذج، لا أن يكون منبع هذا الدستور من رجل أمّي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، منشغل بعبادته والاجتماع بصحابته، ومثل هذا التصوّر يقتضي أن تكون هذه الشريعة من مصدر سماويّ، لا اجتهادات بشرية عرضة للخطأ والصواب .

ونقول أخيراً : إن الإصلاح الاجتماعي هو قاسم مشترك بين الشرائع السماوية والدعوات الأرضية، كذلك فيما يتعلّق بالدعوات السياسية، فالكلُّ يسعى إلى تحقيق الاستقرار وتنظيم الحياة، ولكننا حينما نتكلم عن دين أتى من عند الخالق الحكيم فمن البدهة أن يكون أوسع نطاقاً وأكمل نظاماً وأشمل منهجاً، فليس هو بالمقتصر على جانب من جوانب الحياة أو نظام من نُظُمها .

وإذا كان الأمر كذلك، فمن السذاجة أنهم وصفوا ادور خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بأنه مجرد عمليات إصلاحية في المجتمع العربي، أو محاولات لتصدّر الزعامة والسيطرة على مقاليد الحكم في جزيرة العرب، فلا مناص من الاعتراف بالحق الواضح، وهو ما عبّر عنه المستشرق " تريتون " (١) بقوله : " إذا صحّ في العقول أن التفسير المادّي يمكن أن يكون صالحاً في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فإن هذا التفسير المادي يفشل حين يرغب في أن يعلّل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم، وقيام حضارتهم، واتساع رقعتهم، وثبات أقدامهم، فلم يبق أمام المؤرخين إلا أن ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة، فيرى أنها تقع في هذا الشيء الجديد : ألا وهو الإسلام " .

الشبهة الثالثة:

زعمهم أن النبي ﷺ لم يكن حريصاً على هداية قومه، وأنه دعا على بعضهم ، وبذلك يطعنون في منطلقات دعوته ﷺ .

كان العرب في جاهلية عوجاء، وسفاهة عمياء، يقتل بعضهم بعضاً، وينهب بعضهم أموال بعض، أموالهم وأعراضهم لا يحوطها أمان ولا اطمئنان، يعبدون الأوثان والأحجار، ولم يهتدوا إلى عبادة الواحد القهار، عاشوا في فترة من الرسل، فلا نبي بعث إليهم، ولا رسول أرسل إليهم، حتى اختار الله لهم من بين أظهرهم رجلاً كريماً، طيب السيرة، حسن السريرة، حافظاً

(١) مستشرق لاهوتي إنجليزي، ولد في ١٨٨١ وتوفي ١٩٧٣ م. كان أبوه قسيساً في كنيسة يارموث. في عام ١٩٠٩ م كان مدرساً في مدرسة البعثة التبشيرية في برمان (لبنان)، وقضى في عدن (اليمن الجنوبي) عدة أشهر مبشراً. وحصل على شهادة اللاهوت في ١٩١٤ م من أكسفورد. وفي عام ١٩٢١ م صار أستاذاً للغة العربية في جامعة عليكرة (الهند) وأمضى فيها تسع سنوات. وكان تقاعده عام ١٩٤٦ م. (موسوعة المستشرقين ص : ١٥٦).

للود والعهد، اختاره الله لهم؛ ليكون لهم نبياً، وعلى وحي ربه أميناً، أتاها فكان أرحم بهم من أماتهم وآبائهم، عمت رحمته مؤمنهم وكافرهم، فها هو بعد أن انتصر على المشركين بعد غزوة الفرقان، في غزوة بدر الكبرى، يستشير أصحابه فيما يصنع بهم؟ فاختار الرأي الأسهل الذي أشار عليه بفدائهم، رحمة بهم وشفقة عليهم، وترك الرأي الذي أشار بقتلهم واستئصالهم، فجاء الحكم الرباني مؤيداً للاختيار الثاني، مخالفاً للأول^(١)، فهل يخطر ببال عاقل أن يكون هذا القائد - الذي اختار الإبقاء على الأسرى، مؤثراً له على قتلهم - غير حريص عليهم، ولا مهتماً بان يهدوا، إذاً لو كان كذلك لاختار هو قتلهم، قبل أن يشير عليه من أشار بذلك، والأمر هو ابتداءً، ولم يفتقر إلى من يشير عليه بذلك، هذا واحد من تلك المواقف التي هي كفيلة بالرد على المستشرقين في هذا الزعم. وسنورد غير ذلك من الآيات القرآنية، ونعقبها بأحاديث نبوية، ومواقف تاريخية .

الوقفه الأولى: مع الآيات القرآنية :

نورد في هذا المقام بعضاً من تلك الآيات التي دلت على حرص النبي ﷺ على هداية قومه:

١. قال تعالى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾^(٢)، جاء في معالم

التنزيل في بيان معناها : أي لعلك قاتل نفسك، إن لم يؤمنوا، وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك، وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.^(٣)

٢. وقال تعالى: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۗ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ

(١) السيرة النبوية (من البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير، طبعة دار المعرفة (بدون تاريخ) (٢/٤٥٧-٤٥٨).

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٣ .

(٣) معالم التنزيل، "تفسير البغوي"، محيي السنة البغوي، دار طيبة، الطبعة الرابعة (٦ / ١٠٦) - بتصرف -

يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾^(١)

قال ابن عباس^(٢) : لا تغتم ولا تهلك نفسك، حسرة على تركهم الإيمان.^(٣)

الوقفه الثانية: مع الأحاديث النبوية، والمواقف التاريخية :

ذكر علماء الحديث و السير الذين اهتموا بتدوين دقائق تفاصيل حياته ﷺ صورًا مشرقة تبين ما كان عليه ﷺ من الحرص على هداية الناس وإدخالهم في دين الله ﷻ؛ ليسعدوا بهذا الدين الذي لا يقبل الله دينًا سواه، فعن عائشة - رضي الله عنها -^(٤) أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كِلَابٍ، فَلَمْ يُجِنِّي إِلَى مَا أَرَدْتُ؛ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ^(٥)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ

(١) سورة فاطر، الآية : ٨ .

(٢) هو: عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، كان يقال له: حبر العرب، توفي بالطائف سنة ثمانٍ وستين. (الإصابة ، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الجليل ، الطبعة الأولى ٤/١٤١).

(٣)، أبو عبد الرحمن بن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي (٦ / ٤٧٦).

(٤) عائشة بنت أبي بكر الصديق من قريش: أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأُمِ عبدالله. تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. وكان مسروق إذا روى عنها يقول: حدثني الصديقة بنت الصديق. وتوفيت في المدينة سنة ثمانٍ وخمسين . روت ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. (الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٣/٢٤٠).

(٥) بسكون الراء: ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة، وهو قرنٌ أيضًا غير مضاف، وأصله الجبل. (معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر (بدون تاريخ) ٤/٣٣٢).

قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رُبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينَ^(١). " فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".^(٢)

ولو تأملنا في هذا الحديث لوجدنا فيه العرض المغربي للتخلص من هؤلاء المعاندين المكابرين؟ ولكن هو الحرص الذي منع صاحبه من استعجال الثمرة، والارتياح من متاعب الدعوة، وأدى إلى التفاؤل بأن يكون الخير في أجيالهم، فهل بعد هذا الحرص من حرص؟!

حين يتبين الرد على الشق الأول من هذه الشبهة، يتبين الرد على شقها الآخر، وهو دعوى أنه ﷺ دعا على بعض قومه، وتنزلاً للرد عليه نكتفي بذلك الحديث الذي ورد في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣) قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً".^(٤)

(١) جبلا يضاف تارة إلى مكة، وتارة إلى منى وهما واحد أحدهما أبو قبيس، والآخر قعيقعان ، وقيل غيره . (معجم البلدان ١/١٢٢).

(٢) حديث عائشة - رضي الله عنها - أخرجه البخاري، في باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ، رقم الحديث (٣٠٥٩)، ومسلم، في باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين رقم الحديث (٤٧٥٤).

(٣) اختلف في اسمه على أقوال كثيرة، والأكثر على أنه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ ، ثم لزمه وواظب عليه رغبةً في العلم، راضياً بشبع بطنه؛ فكان أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يحضر ما لا يحضرون، توفي سنة سبع وخمسين، وقيل بعد ذلك. (الاستيعاب، أبو عمر ابن عبد البر، دار الجليل، الطبعة الأولى ٤/١٧٦٨ ، والإصابة ٧/٤٢٥) بتصرف .

(٤) حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه مسلم، في باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث (٦٧٧٨).

فهل فيه أحدًا أرحم من هذا النبي ﷺ؟

الشبهة الرابعة:

زعمهم أن دعوة الرسول ﷺ كانت خاصةً لأهل مكة .

بعث الأنبياء الواحد تلو الآخر، وكانت دعوة كل نبي قاصرة على قومه فحسب، فكانت دعوة هود في عاد، وصالح في ثمود، وشعيب في مدين، وهكذا كانت دعوة كل نبي في قومه، حتى جاء البشير النذير، والسراج المنير - عليه وعلى إخوته أفضل الصلاة والتسليم - فحظيت دعوته بتلك الخصلة التي لم تبلغها دعوة نبي قبله، ألا وهي عمومية رسالته إلى العالمين، انسهم وجنهم، أحرهم وأبيضهم، عربهم وعجمهم، ولكن شبهات المستشرقين المشككين ما زالت تتوالى وتنهمر في النيل من شخصه ودعوته ﷺ فهاهم الآن يشككون في هذه العمومية، ويقصرون هذه الدعوة في مهبطها، زاعمين مرة أن هذه الدعوة إنما جاءت لأم القرى ومن حولها، ومن حولها بضع قرى وليس كل العالم؟^(١) وفي أخرى يقولون: إن محمدًا ﷺ عربي الجنسية، وعربي اللغة، والقرآن عربي اللغة، والعالم موزع على لغات غير العربية كثيرة ومختلفة؛ فهل من الممكن عقلاً أن يكون محمدًا ﷺ رسولاً لجميع شعوب العالم، وهو لا يعرف إلا اللغة العربية؟^(٢) وهل من عدل الإله أن يطلب من أهل الكتاب أن يؤمنوا بنبي لم يرسل إليهم؟^(٣) وأخيراً يسعون في إنكار ثبوت تلك الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى الملوك المعاصرين له داعياً

(١) محمد ياسين، ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، الطبعة الأولى، مكتبة الجامعة الأزهرية،

(ص: ٩٥) .

(٢) نبيل لوقا بباوي، محمد ﷺ والخنجر المسمومة الموجهة إليه، دار السعادة (بدون تاريخ) (ص: ١٢٧) .

(٣) ردود علماء المسلمين (ص: ٢٥١) .

لهم ولأقوامهم للدخول في دين الله ﷻ^(١)، ولا أدري متى أصبح المستشرقون نقادًا للعلم والأسانيد؟

فآيات القرآن شاهدة والأحاديث النبوية دالة أن رسالته ﷺ علمية ، بل من المستشرقون أنفسهم من شهد بذلك.

قال رب العالمين ﷺ: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾^(٢). وقال المنان ﷻ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾^(٣). وقال رب العالمين ﷺ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾^(٤) .

فكل واحدة من هذه الآيات كافية شافية.

الرد على ما قالوا : أن من حول مكة بضع قرى وليس كل العالم، فلا نسلم لذلك ؛ لأنه قد ثبت علميًا أن مكة المكرمة تتوسط اليابسة زمانًا ومكانًا (وليس الكرة الأرضية كلها؛ لأن خمس الأرض يابس والباقي ماء) قال الأستاذ زغلول النجار عن صديقه الدكتور حسين كمال الدين - رحمه الله - الذي كان أستاذًا في هندسة القاهرة ومن أعظم علماء المساحة: إنه كان يجري دراسة بواسطة الحاسب الآلي لتحديد اتجاه القبلة في مختلف بقاع الأرض، فأثبت أن مكة

(١) د. لخضر شايب، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان (ص: ٥٢٥ - ٥٢٦) .

(٢) سورة الشورى، الآية : ٧ .

(٣) سورة سبأ، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٧ .

المكرمة هي وسط اليايسة، بمعنى أننا لو رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة فهذه الدائرة تحيط باليايسة كافة.

وأضاف الدكتور زغلول النجار أن مكة تتوسط اليايسة زمانًا أيضًا؛ لأن العلماء تكلموا عن خط طول الصفر الزمني، فوجدوا أحد عشر خطأً عن يمينها، وأحد عشر عن يسارها، والله أعلم. (١)

وأما قولكم: هل من الممكن عقلاً أن يكون محمدًا ﷺ رسولاً لجميع شعوب العالم، وهو لا يعرف إلا اللغة العربية؟ وهل من عدل الإله أن يطلب من أهل الكتاب أن يؤمنوا بنبي لم يرسل إليهم؟ فيرد بأن التوراة نزلت باللغة العبرية، والإنجيل باللغة الآرامية، وقد دخل في اليهودية والنصرانية أناس تختلف لغاتهم عن لغة هذين الكتابين؛ فليس صحيحًا أنه طالما أنزل القرآن باللغة العربية ألا يؤمن به إلا العرب، وكون الرسول ﷺ بعث باللسان العربي، فإن هذا بديهي، ذلك ليستطيع التحدث مع قومه الذين بعث إليهم، فيفهم عنهم، ويفهمون عنه، وتكون مهمة أتباعه بعد ذلك أن يترجموا معانيه إلى اللغات الأخرى، وهذا ما وقع، فقد ترجم القرآن إلى اللاتينية، والألبانية، والإيطالية، والإنجليزية، والهندوسية، و...، وقد بلغ عدد اللغات التي ترجم القرآن إلى معانيها وحتى عام ١٩٦٧م سبعمائة وستين لغة.

وكيف لا يكون عدلاً أن يأمر الله أهل الكتاب أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وقد أخذ الميثاق على جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أن يؤمنوا بمحمد إذا ظهر في زمانهم؛ فكيف بأتباعهم، وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ

(١) ردود علماء المسلمين (ص: ٩٥ - ٩٦).

لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا

وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ (١) أَيُؤْمِنُ الْأَنْبِيَاءُ، وَيَكْفُرُ الْأَتْبَاعُ؟! (٢)

وأما الذي يسعى جاهداً لإنكار المراسلات التي أرسلها النبي ﷺ فيقال له:

أولاً: أجمع المؤرخون من المسلمين على أمر إرسال النبي ﷺ عددًا من الصحابة إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، ونجاشي الحبشة، وأمير غسان، وغيرهم، كما أجمعوا على أن موضوع رسائله كان دعويًا بحثًا، ولم يختلفوا إلا في تاريخ إرسال تلك الرسائل .

ثانيًا: أن انتقال النبي ﷺ إلى الحرب دليل على إعلانه للدول المحيطة ضرورة الإيمان بالنبي، ولما لم يلق منهم ردًا يعلنون فيه إسلامهم؛ فقد انتقل إلى استعمال القوة التي تفرض عليهم الإذعان لسلطة الإسلام أو الحرب. (٣)

(١) سورة آل عمران، الآية : ٨١.

(٢) وردود علماء المسلمين، محمد ﷺ والخناجر المسمومة (ص: ١٢٧ - ١٢٨)، (ص : ٢٥١ - ٢٥٢).

(٣) نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي (ص : ٥٢٦ - ٥٢٧).

وقد قالت لورا فارغليري^(١)؛ وقال وسير توماس أرنولد^(٢) في شاهدتهم تلك، والتي يثبتان فيها، ما نفاه أبناء جلدتهما، فتقول لورا : إن الأمة القرآنية التي تشير إلى عالمية الإسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيه "رحمة للعالمين" هي نداء مباشر للعالم كله .^(٣) ويقول أرنولد : " لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل إن للعالم أجمع نصيب فيها، ولم يكن هناك غير إله واحد؛ كذلك لا يكون هناك غير دين واحد، يدعى إليه الناس كافة".^(٤)

وأخيراً نقول لمثيري هذه الشبهة :

ارجعوا إلى كتابكم المقدس لتعلموا أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يرسل إلا لبني إسرائيل، فلماذا آمن غيرهم بالمسيح ؟ ولماذا تقومون بالحملات التبشيرية لتدخلوا من استطعتم في دينكم، ولو لم يكن من بني إسرائيل؟!^(٥)

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾^(٦)

(١) مستشرقة إيطالية، مختصة في العربية، متعاطفة مع الإسلام. من مؤلفاتها: الإسلام، دفاع عن الإسلام. (نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي ص: ٢٠٢).

(٢) تقدمت ترجمته (ص ٢٢) عند ذكر المستشرقين المنصفين .

(٣) نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي (ص : ٥٢٣).

(٤) المصدر السابق .

(٥)ردود علماء المسلمين (ص: ٢٥٣).

(٦) سورة ق، الآية : ٣٧ .

الشبهة الخامسة:

قولهم: إن الرسول ﷺ في بداية الدعوة كان مهادناً لأهل مكة ومجاملاً لهم. لما كانت سنة الله تقتضي ألا يبعث أنبياءه وهم على أتم منعة، وألا يمكن لهم في الأرض دفعة واحدة، رأينا وسمعنا ما لاقاه الصحابة من الأذى والعذاب، حتى إن ناساً منهم كان يمر بهم النبي ﷺ وهم يعذبون، فلا يمتلك إلا أن يقول لهم: "صَبْرًا، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ"^(١)، وكان الجهاد ودفع الكفار مما منع في أول الأمر؛ فكان المسلمون - وعلى رأسهم سيدهم ﷺ - في عهدهم المكِّي لا حول لهم ولا قوة، حتى إذا بدأ التمكين، وأسر المسلمون جماعة من الكافرين، عاتبهم الله على ما فعلوا، ذلك أنهم لم يتم لهم ما يرر لهم ذلك، فهل يتصور ممن حاله ما ذكر وأشد أن يكون مهادناً، كيف يكون ذلك وهو لا يمتلك قوة! ولو وقع لكان عجباً، إلا أنه في عالم المستشرقين غير بعيد، فهاهم يوردون الشبهة تلو الأخرى، وفي الأمور التي هي من البديهيات التي لا يحتاج الناظر والقارئ إليها، إلى براهين وحجج ليردها، ولكن وقد وقعت منهم؛ فلا بأس من إثارة الحجج لقمعها .

وقبل أن نبتدئ ببيان الباطل الذي بُني على صاحبه، يحسن بنا ذكر معنى المداهنة والمجاملة، كي يستطيع القارئ استيضاح ما يعرض له.

فالمداهنة، مفاعلة وهي مشتقة من الهدنة - بضم فسكون - ، وتعني: الاتفاق على وقف القتال بين المتحاربين مدة معينة بعوض أو غيره، مع استمرار حالة الحرب.^(٢)

(١) الحديث أخرجه البيهقي "في الشعب" ، رقم الحديث (١٥١٥)، وقال الألباني : حسن صحيح. (، محمد الغزالي، فقه السيرة، الطبعة الأولى ، دار القلم، ص :١٠٣).

(٢) محمد قلنجي - حامد قنبي، معجم لغة الفقهاء، الطبعة الأولى ، دار النفائس، (ص : ٤٩٣).

وأما المجاملة فهي مصدر جامل، وتدل في أصلها على: المعاملة بالجميل^(١)، المراد هنا:

المسايرة في الكلام تأدبًا له، لا عن اقتناعٍ أو تسليم^(٢)، ولعل هذا المعنى الثاني هو المناسب في هذا المقام، وهو يرجع في الحقيقة إلى معنى المداهنة التي ذمها الله في كتابه، وهي التنازل عن الدين من أجل الدنيا.

وبعد أن تبينا حقيقة الكلمتين، وما تدلان عليه في الأصل والاستعمال، نأتي وننظر هل كان محمد ﷺ متصفاً بهاتين الصفتين، كما يزعم علماء المستشرقون؟

إن الناظر في واقع حياته ﷺ، والمتأمل فيما أنزل إليه، وما كان يجري هو عليه في حياته، يدرك بيقين أن فعل المستشرقون، يشبه من يريد حجز الشمس ألا تشرق، وضوئها ألا يظهر؟! ولنأت أولاً للنظر في تلك الآيات التي تنفي هذا الزعم، الذي ارتجله علماء المستشرقين:

قال الله تعالى: **وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** ﴿١٠﴾^(٣)، وقال تعالى:

(١) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، (بدون تاريخ) (ص: ١١٩).

(٢) موقع المعاني

http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A&word=%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%85%D9%84%D8%A9

(٣) سورة المزمل، الآية : ١٠ .

وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾^(١)، فهذه الآيتان جاء فيهما الأمر له ﷺ بالصبر على أذى المشركين، والإعراض عن المشركين، ولم يؤمر بقتالهم، فمن المحقق أنه ﷺ امتثل أمر ربه بترك قتالهم، فإذا كان كذلك، فعلام تكون الهدنة؟ أعلى التعذيب والاضطهاد؟ أم على ما تخيله شياطين المستشرقين إليهم؟ ومعلوم أن المضطهد لا يطلب مهادنة، بل يلجئه ضعفه إلى التوسل والاسترحام!؟

وأما عن المداينة والمجاملة، فقد جاء قوله تعالى: **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَقْرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۗ وَإِذَا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾**^(٢) وقال تعالى: **وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾**^(٢)

قال بعض المفسرين: هذه الآية الكريمة أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا ﷺ من مقارنة الركون إلى الكفار، فضلاً عن نفس الركون؛ لأن "لولا" حرف امتناع لوجود؛ مقارنة الركون، منعته "لولا" وهي لولا الامتناع؛ لوجود التثبيت من الله ﷻ للأكرم خلقه ﷺ؛ فصح يقينا انتفاء مقارنة الركون، فضلاً عن الركون نفسه.^(٣)

وجاء في معنى هذه الآية، قوله تعالى: **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾**^(٤)، فكل من له أدنى فهم للعربية يدرك من هذه الآية أن النبي ﷺ لم تقع منه مداينة للمشركين؛ فإن "لو" حرف امتناع

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٨ .

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٧٣، ٧٤ .

(٣) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر (بدون تاريخ) (٣/ ١٧٩).

(٤) سورة القلم، الآية: ٩ .

لامتناع، فهم لم يقابلوه بالمداهنة؛ لأنه ﷺ لم يبتدئهم أصلاً ، ومثلها سورة الكافرون التي لو تدبرها المشككون؛ لأدركوا أن إثارتهم هذه ذاهبةٌ أدراج الرياح.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾^(١)

ثم إنك إذا قلبت السيرة، وتصفححت المسيرة، وجدت أن مواقفه ﷺ كانت واضحة وضوح القمر إذا تبدّر، وأنه كان نائياً كل النأي عما ادعاه عليه المستشرقون، وسنقتصر على إيراد موقفين على وجه الإجمال؛ إذ إن الإشارة كافية لأولي الأبواب:

الموقف الأول:

قوله ﷺ: " لَقَدْ أُحِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوْذِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ^(٢) طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ".

قَالَ أَبُو عِيسَى^(٣) : وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ حِينَ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَارًّا مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ بِلَالٌ، إِنَّمَا كَانَ مَعَ بِلَالٍ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَحْمِلُهُ تَحْتِ إِبْطِهِ.^(١)

(١) سورة الحج، الآية : ٤٦ .

(٢) بلال بن رباح الحبشي، اشتراه أبو بكر الصديق ﷺ من المشركين عندما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه؛ فلزم النبي ﷺ وأذن له وشهد معه جميع المشاهد، قال عمار ﷺ: لقد قال ما أرادوا- يعني المشركين -غير بلال. قال البخاري: مات بالشام زمن عمر، وقيل غير ذلك. (الإصابة ١/٣٢٦).

(٣) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، السلمي، الترمذي، أبو عيسى، صاحب الجامع، أحد الأئمة، مات سنة تسع وسبعين ومائتين. (تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الرشيد، الطبعة الأولى، ص: ٥٠٠).

لو نظرنا إلى هذا الحديث أيديل على قوة أم على ضعف، لا شك أنه يدل على الثاني، فإذا كان كذلك، أكان الأولى المهادنة أم الاستعفاف؟

وأمر آخر لو كان النبي ﷺ يتصنع لأهل مكة ويجاملهم هل يتصور منهم أن يضطروه إلى هذا الهروب والفرار، كان على أقل الأحوال أن يقدموا له حمايةً ولو صورية؟

الموقف الثاني:

ما جاء في تلك العروض التي عرضها أهل مكة له ﷺ ممثلين في عتبة بن ربيعة حيث يقول: يا بن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا الأمر مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك؛ طلبنا الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه. فلما فرغ تلا عليه النبي ﷺ فواتح سورة فصلت ثم قال له: "قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَلِكَ". (٢)

أولاً : هذه الواقعة لا تدل على أن النبي ﷺ صارت له قوة، وإنما هي طريقة من الطرق التي سلكها أهل مكة لصرفه عما هو عليه .
وثانياً : أين المداهنة من هذا الخطاب الذي يدل على ثبات صاحبه على المبادئ، ويقطع أواصر الطمع والأمل في نفوس أعدائه!؟

(١) الحديث أخرجه الترمذي ، كتاب أبواب الصلاة في باب: الوتر على الراحلة، رقم الحديث(٢٤٧٢)، وقال: حسن غريب، وقال الشيخ الألباني في التعليق: صحيح.

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٩٣-٢٩٤) - باختصار - .

الشبهة السادسة:

زعمهم بأن ما قام به الرسول ﷺ في مكة إنما هي ثورة وليست دعوة .

إن الناظر في سيرة المرسلين يرى بعين رأسه و عقله أن الله إنما اختار لكل أمة رجلاً منهم، وهم

إنما جاؤوا مبلغين رسالة ربهم، شعارهم في ذلك: إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا

شُكُورًا ﴿٩﴾^(١) ، فهذا أولهم نوح عليه السلام يقول لقومه : وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنِ اجْتَبَيْتُمْ

إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۖ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ

﴿٢٩﴾^(٢) ، وهكذا ساروا على نسقٍ واحدٍ متصلٍ إلى آخرهم، فها هو نبينا محمد عليه السلام ، يأمره

ربه أن يخاطب قومه قائلاً لهم : ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۖ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۖ إِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾^(٣) ، فدعوة جميع الأنبياء إنما انبثقت أولاً باختيار الله لهم، ثم هم ثانياً

كان دافعهم الآخرة لا الدنيا، وهذا أمر من الواضح بما لا يختلف عليه اثنان ، ولكن لكل

قاعدة شدوذ، ولكل قولٍ مخالف، فقد ابتكر المستشرقون قولاً مخالفاً يزعمون فيه أن دعوته عليه السلام

والجهود التي تمت في مكة، إنما هي في الحقيقة ثورة، وليست دعوة؟!

(١) سورة الإنسان، الآية : ٩ .

(٢) سورة هود، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة الشورى، الآية : ٢٣ .

وادعائهم هذا وإن كان يبدو بادئ أمره غريباً، إلا أنهم لم يبتدعوه ولم ينفردوا بقولهم ، إنما هم امتداد لأولئك المعاندين الذين كانوا قبلهم، فالمستشرقون في الحقيقة ما هم إلا مجددون للعهد القديم! إلا أنهم ولسوء حظهم لا تسعفهم الحوادث، ولا الوقائع التاريخية.

فإنه من المعلوم والمحسوس أن الثورة لا تكون إلا من ظلمٍ أو فقرٍ، أو استبدادٍ واضطهادٍ، أو غير ذلك من الأسباب، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي أنواع الاضطهاد، والاستبداد التي كان يعاني منها محمد ﷺ، حتى أوجأتها إلى القيام بثورة ضد أهل مكة، يثار فيها لنفسه ومجتمعه؟

الذي يلفت الانتباه، ويسترعي النظر أن النبي ﷺ لم يلق ما لقي من الأذى، والاضطهاد الحقيقي إلا بعد أن أكرمه الله بالنبوة، ودعا الناس إلى الإيمان بأن الله واحد لا شريك له، وأنه هو عبده ورسوله .

فلقد أطلعنا كتب السير كيف أن النبي ﷺ في سنواته الثلاث الأولى من البعثة لم يكن هو ولا صحابته ليقوموا بعبادة ربهم جهراً، وأنهم كانوا لا يقومون ولا يدعون إليها إلا سراً، وهذا ما عرف بالدعوة السرية. (١)

وفي سنتهم الخامسة من البعثة ألجأهم التضييق والتعذيب إلى الابتعاد عن أهل مكة، لحماية دينهم وأنفسهم، فكانت هجرتهم الأولى إلى الحبشة. (٢)

وبعد هذه الحادثة يستجد نوعٌ جديد من التآمر والتنكيل بأهل هذه الدعوة، إنه وفد قريش للمرة الثانية الذي أتى إلى أبي طالب، عمه ﷺ الذي تولى شأنه بعد وفاة جده عبد المطلب، لكن جاؤوا هذه المرة بطلب سخيف، فقد جاؤوا بعمادة بن الوليد بن المغيرة إلى أبي طالب،

(١) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، الطبعة الأولى، دار الهلال، (ص: ٦٥ - ٦٦).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٢ / ٣).

ليأخذه بدلاً عن النبي ﷺ ، ويسلم لهم النبي ﷺ ليقتلوه، فقال لهم: هذا والله ما لا يكون أبداً. (١)

ولكن هل توقفت تأمرات قريش ضد النبي ﷺ، وهل هذا هو آخر ما سعى إليه من التضييق، كلا!؟

ففي السنة السابعة من البعثة، نجد فعلاً غريباً من أفعال قريش، إنها المقاطعة، تلك المقاطعة التي تواطأ فيها أهل مكة ضد النبي ﷺ وبني هاشم وبني المطلب الذين ناصرهم وآزرهم، سوى عمه أبي لهب - الذي سيصلي ناراً ذات لهب - ، فقد قرر أهل مكة، إلا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، الخ... من أمور المقاطعة التامة، وتم هذا الحصار في شعب أبي طالب، ولمدةٍ دامت ثلاث سنين! (٢)

فهل مرَّ على النبي ﷺ تضييق واضطهاد من هذا اللون قبل أن يتنبأ؟

هذا قليل من فيض يدلنا ولو على يسير يبين لنا كيف كان حاله ﷺ قبل النبوة وبعدها، فكيف يمكن لمدعٍ أن يقول بأن الدعوة كانت ثورة.

ثم إننا نقول: إن سلمنا جدلاً بأن دعوته ﷺ كانت ثورة، فأين هم أولئك الذين كانوا معه لمساندته في الثورة؟ وما هو ذلك الجيش الذي أعانته لإثبات أركانها؟ أهو أبو بكر (٣) وخديجة (٤)؟ أم هو بلال (٥) وعامر بن فهيرة (١) الذين أعتقهما ليفكهما من التعذيب الذي

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٦٦-٢٦٧).

(٢) صفى الدين المباركفوري، الرحيق المختوم ط. دار الهلال (ص: ٩٧).

(٣) هو: أول من أسلم من الرجال، وخليفة رسول الله ﷺ، مشهور.

(٤) هي: أول النساء إسلاماً، وأولى زوجاته نكاحاً ووفاءً - رضي الله عنها - ، مشهورة.

(٥) هو ابن رباح، تقدمت ترجمته ص ٤٢.

أغدق عليهما ؟ أم هي تلك الثلة الضعيفة التي كانت تقيم دينها سرًّا خشية على دينها
ونفسها؟ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾^(٢)

ولنختم بما قاله قيصر الروم في محاورته لأبي سفيان رضي الله عنه^(٣) ، حيث يقول :
وسألتك: هل كان من آباءه مِنْ مَلِكٍ؟ فذكرت: أن لا؛ قلت: فلو كان من آباءه مِنْ مَلِكٍ؟
قلت: رجل يطلب ملك أبيه .^(٤)

الشبهة السابعة:

زعمهم بأن الدعوة الإسلامية في مكة تولدت من النظام الاقتصادي القائم في قريش،
وإن الدعوة كانت نتيجة للصراع الطبقي الذي نشب بين أهل مكة، وأن من دخل
في الإسلام ليس عن اقتناع، وإنما حفاظًا على مصالحهم المادية، وخوفًا من أصحاب
السلطة الجدد، الممثلين في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه .

(١) هو: عامر بن فهيرة التيمي، أحد السابقين، وكان ممن يعذب في الله، وكان للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، فاشتره
أبو بكر منه فأعتقه. ذكره بن إسحاق وجميع من صنف في المغازي فيمن استشهد ببئر معونة. (الإصابة ٥٩٤/٣).
(٢) سورة النور، الآية : ١٦ .

(٣) هو: صخر بن حرب بن أمية : صحابي، من سادات قريش في الجاهلية. وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان
من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره، وأسلم يوم فتح مكة، وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن. توفي بالمدينة،
وقيل بالشام سنة إحدى وثلاثين. (الأعلام ٢٠١/٣).

(٤) حديث أبي سفيان رضي الله عنه أخرجه البخاري، كتاب الصحيح في باب: كيف كان بدء الوحي ، رقم الحديث (٧).

اهتم بعض المستشرقين اهتماماً كبيراً وخصوصاً وات^(١) وبلاشير^(٢) ، بتقديم العوامل السياسية باعتبارها عوامل فاعلة في اتخاذ النبي ﷺ قرار إنجاز عملٍ موحد يرفع العرب إلى مستوى الأمم المتقدمة.

والحقيقة أن البحث في العوامل الفاعلة في بعث الإسلام، وإن كان الغالب على من خصصناهم بالذكر قبل قليل، إلا أن جمهور المستشرقين المعاصرين قد نبهوا على تأثير البيئة في تكوين ميول النبي ﷺ، وسعيه بعد ذلك إلى تغييرها.

وقد ركز جولد زيهير^(٣) على الظلم الاقتصادي في البيئة المكية، فقال: كانت المادية وكبرياء الجاهلية وتحكم الأغنياء في الفقراء هي الميزات السائدة عند أشرف تلك المدينة ورأى محمد ﷺ هذا؛ فأخذ يشكو من اضطهاد الفقراء، وطمع الأغنياء، وسوء المعاملة، وعدم المبالاة بالصالح العام.^(٤)

وركز فيليب حتّي^(٥) على موضوع الظلم الاجتماعي السائد في مكة بين الفقراء والأغنياء من جهة، وبين الحضرة والبدو من جهة أخرى، فقال: ولقد كان محمد ﷺ وهو يفكر في حال قومه

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٣، وهو صاحب كتاب: محمد ﷺ في مكة .

(٢) مستشرق فرنسي، ولد في ١٩٠٠م. عيّن مدرساً في "معهد الدراسات العليا المغربية"، وبعد حصوله على درجة الدكتوراه عين أستاذاً للغة العربية الفصحى في "المدرسة الوطنية للغات الشرقية" في باريس، واستمر على هذا المنصب حتى التقاعد. له: ترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية. وكانت وفاته في ١٩٧٣م. (موسوعة المستشرقين ص: ١٢٧).

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢١.

(٤) جولد زيهير، العقيدة والشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ص: ١٣ .

(٥) لبناني مسيحي، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا، ثم رئيساً لهذا القسم، وهو من ألد أعداء الإسلام، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا، يحاول دائماً أن ينتقص دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية، ويكره أن ينسب للمسلمين أيُّ فضلٍ. (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار الوراق - المكتب الإسلامي (بدون تاريخ) ص: ٤٣).

يدرك بثاقب بصره تلك الهوة الواسعة التي كانت تفضل الحضر الذين كانوا على شيء كثير أو قليل من الغنى، وبين البدو الفقراء، ثم يؤلمه ذلك.

وربط وات بشكل مباشر بين الظلم الذي جعله سائدًا في مكة، وبين النبي ﷺ حيث جعله يتضرر شخصيًا، وبشكل مباشر منه، فقرر مثلاً أنه كان يمتلك موهبة الإدارة التي كان من الممكن له تسيير أعظم العمليات في مكة .

الحقيقة أن جميع الأفكار التي أبدتها المستشرقون في هذا الموضوع هي مجرد أوهام، من حيث عدم ارتباط الوحي بشكل مباشر بالعوامل السياسية والاقتصادية السائدة في مكة أو في غيرها من بلاد العرب. والعلاقة الوحيدة التي من الممكن للباحث أن يجدها، هي أن الوحي نفسه هو العامل الذي جاء ليقطب ملامح الحياة العربية، لا العكس. ويؤدي بنا هذا إلى التأكيد على أن الظلم الشامل كان بالفعل هو سيد الموقف في علاقات الأفراد والقبائل العربية، ولكن الوثائق التاريخية لا تظهر أبدًا تأثير النبي ﷺ بهذا الظلم على المستوى العام، بل كان تأثيره وعلاجه له، هو تأثير وعلاج الرجل الفاضل بدون زيادة ولا نقصان. فقد كان يصل الرحم، ويحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق.

وهذه كلها أخلاق وجدت - إما كلها أو بعضها - عند بعض فضلاء العرب.

ولم يكن محمد ﷺ - وهو يتوافر على هذه الأخلاق الكريمة قبل الوحي إليه - نبيًا، كما لم يصبح أحد فضلاء العرب نبيًا، ولا ادعى ذلك أحد منهم.

إضافة إلى ما سبق، فإن الوثائق لا تخبرنا مطلقًا عن شكوى النبي ﷺ من الظلم السائد في مكة كما يزعم جولد زيهر.

وإذا كان رصد جمهور المستشرقين للعوامل الاقتصادية هو مجرد جمع لبعض المواد التي تصور الواقع العربي حينذاك، وتعجز - وهذا هو المهم - عن إيجاد أية علاقة بين النبوة الإسلامية وبين هذا الواقع.

فقد كانت إشارتهم إلى ظهور ميول عربية تسعى نحو تحقيق الوحدة العربية مجرد وهم كبير، إذ " أن أمة تدب فيها هذه الروح، ولا تؤثر عنها كلمة فيها، أو بيت من الشعر، أو أية حركة تنم عنها، لأمر يوجب الدهشة! وقد نقل الرواة من أخبارها كل صغيرة وكبيرة".

وقد خلط المستشرقون هنا أيضًا بين سعي النبي ﷺ بالإسلام وتحقيقه لهذه الوحدة العربية بعد البعثة - وهذا شيء صحيح تمامًا - ، وبين وجود ملامح هذه الوحدة السياسية عند العرب، وهذه مجرد دعوى لا دليل عليها. ^(١)

وهل دخول الإسلام من قبل الأثرياء من أهل مكة، لم يكن عن اقتناع؟ بل لمجرد المحافظة على المصالح المادية، خوفًا من السلطة الجديدة، أم إن هذه كذلك مجرد دعوى؟!

أقول: إن هذه النظرية من المستشرقين مع ثقافتهم وعلمهم بالإسلام لعجيبة؛

فإن هذه الصفة بعينها هي حال المنافقين في دخولهم الإسلام، كما ذكر الله عنهم في غير ما موضع من كتابه، فهل كان حال الذين دخلوا الإسلام في مكة، ومنهم العشرة المبشرون بالجنة، كحال المنافقين بالمدينة؟!

وقد قدمنا آنفًا في الرد على الشبهة الماضية، أنواع التضييق والاضطهاد التي واجهها محمد ﷺ بعد البعثة، بما يناهز ويناقض ما ذكره المستشرقون من خوف هذه الثلاثة المباركة من السلطة الجديدة .

(١) لخضر شايب، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، (ص: ٤٥٥ - ٤٥٧).

الشبهة الثامنة:

زعمهم بأن الدعوة في مكة اختصت بالشدة والعنف .

نحن الآن أمام شبهة جديدة من الشبه التي أثارها المستشرقون، والشبهة الآن من الشبه المثارة حول شيء يتصل بالقرآن "حول المكي والمدني" فيقولون:

إن الباحث الناقد يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، وتأثر ببيئات متباينة؛ فنرى أن القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة، كما نشاهد القسم المدني منه تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة.

فالقسم المكي يتفرد بالعنف والشدة والقسوة والحدة والغضب والسباب ... (١)

والجواب: أن هذه الشبهة في الحقيقة تتألف من مقدمات ثلاث كذب فيها المستشرق.

فأما المقدمات الثلاث هي: أن القسم المكي تفرد بالعنف والشدة، وأن فيه سباباً وإقذاعاً، وأنه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة، وأما النتيجة و الهدف الذي يرمى إليه فهو: أن القرآن مُفكَّكُ الأجزاء غير متصل الحلقات، وأنه خاضع للظروف متأثر بالبيئة. والرد على هذه الشبهة في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى:

أما قولهم: إن القسم المكي قد تفرد بالعنف والشدة، فينقضه أن في القسم المدني شدةً وعنفاً؛ فدعوى تفرد القسم المكي بذلك باطلة، وإليك بياناً لذلك:

(١) شبهات حول المكي والمدني، شبكة الألوكة

<http://www.alukah.net/sharia/10331/55834%20شبكة%20اللوكة>

قال تعالى في سورة البقرة "وهي مدنية" :فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾^(١)، وقال أيضاً: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقِهَا ۚ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۗ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾^(٢) وإنما اشتمل القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني على الشدة والعنف؛ لأن ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب وسياسة الأمم والدول تقضي أن يمزج المصلح بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشدة واللين.

ثم إن دعواهم انفراد المكي بالعنف والشدة يفهم منه دعوى انفراد المدني باللين والصفح ودعوى خلو المكي من ذلك اللين والصفح، وهذا المفهوم باطل أيضاً.

ودليل ذلك أن بين السور المكية آيات كريمة تفيض لِينًا وَصَفْحًا، بل تنادي أن تقابل

السيئة بالحسنة كما في قوله سبحانه في سورة فصلت المكية: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٤٣﴾^(٣) .^(٤)

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٧٥ .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٣٤ .

(٤) الزر قاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (١/٢٠٦ - ٢٠٨) -

باختصار - .

النقطة الثانية :

وأما زعمهم أن في القسم المكي سببًا، ويريدون من السبب معناه المعروف عندهم من البذاءة، والخروج عن حدود الأدب واللباقة، فقد ما لهم به من علمٍ ولا لآبائهم ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾^(١) ونحن نتحداهم أن يأتوا بمثال واحد في القرآن كله، مكيه ومدنيه يكون من هذا اللون القذر؟! وهل يعقل أن القرآن الذي جاء يعلم الناس أصول الآداب يخرج هو عن أصول الآداب إلى السباب؟

نعم إن في القرآن كله - لا في القسم المكي وحده - تسفيها لأحلام المتنطعين، الذين يصمون آذانهم ويغمضون أعينهم عن الحق، وهو في ذلك شديد عنيف بيد أنه في شدته وعنفه لم يخرج عن جادة الأدب، بل الحكمة تتقاضاه أن يشتد مع هؤلاء لأنهم يستحقون الشدة ومن مصلحتهم هم ومن الرحمة بهم والخير لهم أن يشتد عليهم ليرجعوا عن باطلهم ويسيروا على هدى الدليل والحجة على حد قول القائل:

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا ... فَلْيُقْسُ أَحْيَانًا عَلَيَّ مَنْ يَرْحُمُ

على أننا نلاحظ في آفاق الآيات والصور المكية ظاهرة باهرة تسكت كل معاند، وهي أن القسم المكي خلا خلوا تامًا من تشريع القتال والجهاد، كما خلت أيامه في مكة على طولها، من مقاتلة القوم بمثل ما يأتون من التنكيل، وإنما كان الصبر والعفو بالرغم من إيغال الأعداء في أذاهم ولجاجتهم في عتوهم.^(٢)

(١) سورة الكهف، الآية : ٥ .

(٢) محمد الزر قاني، مناهل العرفان الطبعة الثالثة، (٢٠٩/١ - ٢١٣) - باختصار - .

النقطة الثالثة:

وأما زعمهم أن القسم المكي يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة فهو مردود عليهم باطل من كل باب دخلوه وعلى أيّ وجهٍ أرادوه؛ لأنهم إن أرادوا بما ذكروا أن أهل مكة كانوا منحطين في الفصاحة والبيان والذكاء، فتلك ثلاثة الأثافي؛ لأن التاريخ شاهد عدل، بأن قريشًا كانت في مركز الزعامة من جميع قبائل العرب يصدرون عن رأيها ويرجعون إلى حكمها، ويدعون لها بالسَّبْقِ في مضممار الفصاحة والبلاغة والذكاء، وكان لها هذا الامتياز من قبل الإسلام، ثم دام لها وزاد عليها في الإسلام.

ثم إن وصف القسم المكي بمميزات الأوساط المنحطة تهمّة جريئة، وطعنة طائشة، ما رضيها لأنفسهم أعداء الإسلام في فجر دعوته، من مشركين وأهل كتاب، وعرب وعجم، وأميين ومثقفين، على حين أن أولئك العرب كانوا على أميتهم، أعرف الناس بانحطاط الكلام ورقيه، وعلوه ونزوله، ولكن سجيتهم لم تسمح بهذا الهراء الذي يقوله الملحدين، في القسم المكي من القرآن.

وأما زعمهم انقطاع الصلة بين القسم المكي والمدني والتعارض بين أسلوبيهما، فهو زعم ساقط، وأدُلُّ دليل على ذلك : أن أساطين البلاغة من أعداء الإسلام في مكة نفسها أيام نزول القرآن، لم يستطيعوا أن يتهموا أساليب التنزيل بمثل هذا الاتهام ولا كذبًا؛ لأنهم كانوا أعقل من الملحدين اليوم، يرون أن هذا الاتهام يكون كذبًا مكشوفًا وافتراءً مفضوحًا.^(١)

(١) محمد الزر قاني، مناهل العرفان، الطبعة الثالثة، (٢٣١/١ - ٢١٥) - باختصار - .

الشبهة التاسعة:

زعمهم بأن الدعوة في العهد المكي أهملت جانب التشريع .

يقولون المستشرقون : إن القسم المكي خلا من التشريع والأحكام، بينما القسم المدني مشحون بتفاصيل التشريع والأحكام، وذلك يدل على أن القرآن من وضع محمد ﷺ وتأليفه، تبعاً لتأثره بالوسط الذي يعيش فيه، فهو حين كان بمكة بين الأميين؛ جاء قرآنه المكي خالياً من العلوم والمعارف العالية، ولما حلَّ بالمدينة بين أهل الكتاب المثقفين؛ جاء قرآنه المدني مليئاً بتلك العلوم والمعارف العالية.

ونرد على هذه الشبهة في أربعة أوجه :

الوجه الأول:

القسم المكيّ لم يخل جملة من التشريع والأحكام، بل عرض لها وجاء عليها، ولكن بطريقة إجمالية، فإنك تجد مقاصد الدين خمسة - التي هي: الإيمان بالله، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال - قد تحدث القسم المكيّ عنها إجمالاً، وقرأ إن شئت قوله تعالى من سورة الأنعام المكية: **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَزَرْنَاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾^(١)**

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٥١ .

إلى تمام ثلاث آيات بعدها، جمعت الوصايا العشر لهذه المقاصد الخمسة.

الوجه الثاني:

أن كثرة التفاصيل في تشريع الأحكام بالمدينة ليس نتيجة لما زعموا، إنما هو أمر لا بد منه في سياسة الأمم وتربية الشعوب وهداية الخلق، ذلك أن الطَّفَرَةَ^(١) حليفة الخيبة والفشل، والتدرج حليف التوفيق والنجاح، وتقديم الأهم على المهم واجب في نظر الحكمة؛ لهذا بدأ الله ﷻ عباده في مكة بما هو أهم، بدأهم بإصلاح القلوب وتطهيرها من الشرك، وتقويمها بعقائد الإيمان الصحيح، حتى إذا استقاموا، وامنوا بالبعث والجزاء، فطمهم عن أقبح العادات، وقادهم إلى أصول الآداب، ثم كلفهم ما لا بد منه من أمهات العبادات، وهذا ما كان في مكة. ولما مرنوا على ذلك وتهيأت نفوسهم للتزقي والكمال، وكانوا وقتئذٍ قد هاجروا إلى المدينة، جاءهم بتفاصيل التشريع والأحكام، وقوانين الإسلام. أما ما زعموا من أن ذلك كان نتيجة لاختلاط محمد ﷺ بأهل المدينة المستنيرين، فينقضه أن القرآن جاء يصلح عقائد أهل الكتاب وأخطاءهم في التشريع، وفي التحليل والتحریم، فكيف يأخذ المصيب من المخطئ؟

واقرأ إن شئت قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾^(٢)، وقوله عز اسمه: كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ

(١) مرتضى الزبيدي الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية (بدون تاريخ) ٤٣١/١٢.

الطَّفَرَةُ: الوُتْبُ فِي ارْتِفَاعٍ، كَمَا يَطْفُرُ الْإِنْسَانُ حَائِطًا، أَيْ يَتَّبِعُهُ، وَطَفَرَ الْحَائِطُ: وَتَبَّهَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَاتُوا بِالَّتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾^(١).

الوجه الثالث:

أن ما زعموا لو كان صحيحًا؛ لظهر أثر أهل الكتاب المدنيين فيمن معهم من عرب أهل المدينة، وفيمن حولهم من أهل مكة، وآفاق الجزيرة، وكانوا هم الأحرى بهذه النبوة والرسالة، ولسبق محمدًا ﷺ إليها كثيرٌ غيره، من فصحاء العرب، وتجار قريش الذين كانوا يختلطون بأهل الكتاب في المدينة والشام أيما اختلاط؟!!

الوجه الرابع:

أن القرآن تحدى الكافّة، من مكيين ومدنيين، بل من جنّ وإنس؛ فهلاً كان أساتذته أولئك يستطيعون أن يجاروه، ولو في مقدار سورة قصيرة واحدة! يا لها فريّة ثم يا لها صفاقة؟^(٢)

الشبهة العاشرة:

زعمهم أن الرسول ﷺ لم يكن قادرًا على التعبير ودعوة الناس إلى الإسلام؛ فأتى بسور قصيرة .

يقولون المستشرقون: إن قصر السور والآيات المكية، مع طول السور والآيات المدنية، يدل على انقطاع الصلة بين القسم المكي والقسم المدني، ويدل على أن القسم المكي يمتاز بمميزات

(١) سورة آل عمران، الآية : ٩٣ .

(٢) محمد الزر قاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/٢١٨ - ٢٢٠).

الأوساط المنحطة، ويدل على أن القرآن في نمطه هذا نتيجة لتأثر محمد ﷺ بالوسط والبيئة، فلما كان في مكة أمياً بين الأُميين؛ جاءت سور المكي وآياته قصيرة، ولما وجد في المدينة بين مثقفين مستنيرين؛ جاءت سور المدني وآياته طويلة، وغرضهم من إلقاء هذه الشبهة التشكيك في أن القرآن من عند الله، كنظرائها من الشبهات، مما مرّ، ومما سيأتي:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾^(١)
وسيكون نقض شبهتهم بأمور:

أولها: أن في القسم المكي سوراً طويلة، مثل سورة الأنعام، وفي القسم المدني سوراً قصيرة

مثل سورة . إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾^(٢)؛ فكلاهما لا يسلم على عموميه.

ثانيها: إذا أرادوا الكثرة الغالبة لا الكلية الشاملة؛ فهذا نسلمه لهم، بيد أنه لا يدل على ما افتروا ورتبوا عليه؛ لأن قصر معظم السور المكية وآياتها، وطول معظم السور المدنية وآياتها، لا يقطع الصلة بين قسَمي القرآن، مكيه ومدنيه، بل الصلة كما يحسها كل صاحب ذوق في البلاغة محكمة وشائعة بين كافة أجزاء التنزيل.

على أنك تلاحظ آياتٍ مكية بين آيات سور مدنية وتلاحظ آيات مدنية بين آيات سور مكية، وبرغم ذلك لا يكاد أحد يحس التفاوت أو التفكك والانقطاع، بل يروعك ما بين الجميع من جلال الوحدة، وكمال الاتصال، وجمال التناسق والانسجام!

(١) سورة التوبة، الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النصر، الآية : ١ .

ثالثها: أن قصر السور والآيات المكية لا يدل على ما زعموا من امتياز القسم المكي بمميزات الأوساط المنحطة، بل القصر مظهر الإيجاز، والإيجاز مظهر رقيّ المخاطب، وآية فهمه وذكائه، بحيث يكفيه من الكلام موجزه، ومن الخطاب أقصره، أما من كان دونه ذكاءً وفهماً؛ فلا سبيل إلى إفادته إلا بالإسهاب والبسط، إن لم يكن بالمساواة والتوسط.

ولهذا المعنى جاء قسم القرآن المكي قصيراً موجزاً في معظمه، وجاء قسم المدني طويلاً مسهباً في أكثره، ويرجع ذلك إلى ما أشرنا إليه قبلاً من أن القرشيين في مكة كانوا في الذؤابة^(١) من قبائل العرب، ذكاءً وفصاحة وبلاغة؛ فلا بدع أن يخاطبهم القرآن بالقصير من سوره وآياته، رعاية لحق قانون البلاغة والبيان في خطاب الذكيّ النابه، بغير ما يخاطب من كان دونه. ومن هنا تعرف مبلغ ما في هذه الشبهة من زيف وكذب فيما رتبوا على هذا من أن القرآن كان نتيجة لتأثر محمد ﷺ بانحطاط أهل مكة في القسم المكي وباستنارة أهل المدينة في القسم المدني، حتى جاء قرآنه قصيراً في الأول طويلاً في الثاني.^(٢)

الشبهة الحادية عشر:

زعمهم أن العهد المكي لم يتناول فيه الرسول ﷺ الأدلة والبراهين على العقيدة الإسلامية .

يردد المستشرقون قولهم : إن القرآن في قسمه المكيّ قد خلا من الأدلة والبراهين، بخلاف قسمه المدنيّ فإنه مليء بالأدلة، مدعم بالحجة، وهذا برهان جديد على تأثر القرآن بالوسط الذي كان فيه محمد ﷺ .

(١) جاء في تاج العروس ٤١٦/٢: دُؤَابَةُ الْقَرْسِ : شَعْرٌ فِي أَعْلَى نَاصِيَةِ الْقَرْسِ .

(٢) محمد الزر قاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت، (١/٢١٦/٢١٨).

رد على الشبهة: أولاً : بما أسلفنا من أن القرآن لو كان نتيجة تأثر محمد ﷺ بالوسط الذي يعيش فيه؛ لكان الوسط أولى بتوجيه هذا المطعن عليه، ولكان أعرف بهذا النقص فيه؛ فيظفر عليه ويدخل إلى إبطال دعوته من هذا الباب الواسع، وكما نعرف أن الرسول ﷺ في مكة والمدينة كان له أعداءُ الداء، ليس لعداوتهم دواء.

ثانياً: أنه لو صح هذا؛ لبطلت نبوته ﷺ، ولو صح أن تكون النبوة لهم، باعتبار أنهم مصدرها وأنهم أساتذته فيها ، وهذا النقص يقال في رد الشبه الماضية، التي تدل على فساد فطرتهم، وعلى مقدار تبجحهم وتجنّهم على الحقيقة والتاريخ والاستخفاف بعقول الناس.

ثالثاً: أن كذبهم في هذه الشبهة صريح مكشوف؛ لأن القسم المكيّ حافل بأقوى الأدلة وأعظم الحجج على عقيدة الإسلام، في الإلهيات والنبوات والسمعيات.

استمع إليه في سورة المؤمنون المكية، وهو يرفع قواعد التوحيد ويزلزل ببيان الشرك إذ يقول:

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ۚ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾^(١) ، وإذ يقول في سورة الأنبياء المكية: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٢﴾ وقال تعالى: أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۚ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۚ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾^(٢)

(١) سورة المؤمنون، الآية : ٩١ .

(٢) سورة الأنبياء، الآيات : ٢٤، ٢٢ .

، وأنصت إليه في سورة العنكبوت المكية وهو يُدللُّ على نبوة محمد ﷺ إذ يقول: وَمَا كُنْتَ تَلُو
مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذَا لَارَّتَابَ الْمُبْتَلُونَ ﴿٤٨﴾ ، وقال تعالى: أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ
أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرْحْمَةً وَّذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾^(١)

وتدبر حجته التي أقامها لتقرير اقتداره على البعث بعد الموت في قوله سبحانه من سورة ق
المكية: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ، وقال تعالى: رَزَقًا
لِلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ۗ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾^(٢)

، وقوله فيها أيضًا: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾^(٣)

وفي سورة السجدة إذ يقول: أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۗ لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾^(٤) .

إلى غير ذلك من أدلة ساطعة وبراهين بارعة، لا تكاد تخلو منها سورة من السور المكية، ولكن
القوم استحبوا العمى على الهدى؛ فاستمرءوا هذا الكذب والافتراء !

(١) سورة العنكبوت، الآيات : ٤٨ - ٥١ .

(٢) سورة ق، الآيات : ٩ - ١١ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية : ١٦ .

(٤) سورة السجدة، الآيتان : ١٨ ، ١٩ .

نسأل الله أن يكفيننا شر الفتنة وأن يثبتنا على الحق فإن قلوب الخلق بيديه والأمر كله منه وإليه. (١)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوْكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ ۖ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ (٢)

الشبهة الثانية عشر:

نفى المستشرقون عن محمد ﷺ صفة التدين، ويصفونه بغيرها من الصفات التي يتساوى فيها الكثير من البشر .

قبل أن يبعث الله نبيه محمداً ﷺ حب إليه الخلاء؛ فكان يتعبد ربه في خلاء من غار حرى، يستمتع بتلك الخلوة التي يرغب فيها إلى خالقه، وأما بعد أن بعث، فلا تسل عن حاله، فهو من استيقاظه إلى منامه، كله عبادة وطاعة لربه، بل إنه ولفرط حبه التعبد والتودد لوليه؛ كان يحتسب حتى نومه، فما أعظمه من نبي! وما أجله من رسول! وما اتقاه من متعبدٍ .

إلا أنه - ومع ما عرف عنه من ذلك - ، فإن ناساً ممن ختم الله على قلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة يزعمون أن النبي ﷺ كان داعياً اشتراكياً يهدف إلى تحقيق العدالة في المجتمع العربي، وليس هو رجل دين (٣) ، ويستدلون على ذلك بأمر يفتن لها الغبي قبل الذكي ! فما أعظمها من فرية ! وما أحقره من بهتان !

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/٢٣٧-٢٣٩).

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٣٩ .

(٣) نخبة من كبار العلماء، موسوعة بيان الإسلام في الرد على الافتراءات والشبهات، دار النهضة مصر.

=<http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-04-0016&value=&type>

إن المرء ليعجب أشد العجب من هؤلاء الذين ينفون عن محمد ﷺ صفة التدين، ويصفونه
 غيرها من الصفات التي يتساوى فيها كثير من البشر؛ لأن البشرية قاطبة منذ آدم ﷺ إلى أن
 تقوم الساعة، لم تشهد - ولن تشهد - رجلاً أخلص في عبادة الله والدعوة إلى توحيده مثل
 محمد ﷺ، فالمتأمل في سيرته العطرة يجدها مثلاً جلياً لعبادة الله ﷻ، وطلب مرضاته، فقد
 كان النبي ﷺ لا يفعل شيئاً إلا لله، فكان لا يجب إذا أحب إلا لله، ولا يكره إذا كره إلا لله،
 ولم يغضب ﷺ لنفسه قط! إلا أن تنتهك حرمة الله؛ فيغضب من أجل الله؛ فكانت حياته كما
 أمره ربه: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾^(١)

وسنلقي هذه الشبهة ، ونلحقها بسباطة^(٢) المستشرقين، وذلك من موقفين فحسب من
 سيرة سيد ولد آدم ﷺ:

الموقف الأول: ثباته على الدعوة لله رغم الإيذاء والإغراء:

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالدعوة إليه، بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى
 الطريق المستقيم ، وأمره أن يبدأ أولاً بدعوة أهله وعشيرته والقوم الذين بعث فيهم، فامتثل ﷺ
 أمر ربه، وجمع قومه وأخبرهم أنه رسول الله إليهم بشيراً ونذيراً، وأمرهم بعبادة الله وحده لا
 شريك له، ونهاهم عن عبادة الأوثان التي لا تنفع ولا تضر، ونهاهم عن إتباع الآباء والأجداد،
 وتقليدهم في معتقداتهم الباطلة .

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٦٢ .

(٢) ابن الأثير الجزري، طاهر الزاوي - محمود الطناحي، انهدية بي غريب الحديث والأثر، المكتبة العامة، (بدون تاريخ)
 ٢/٣٣٥.

السُّبَّاطَةُ وَالْكُنَاسَةُ: الموضع الَّذِي يُرْمَى فِيهِ التُّرَابُ وَالْأَوْسَاحُ وَمَا يُكْنَسُ مِنَ الْمَنَازِلِ، وَقِيلَ: هِيَ الْكُنَاسَةُ نَفْسُهَا.

فلما سمعوا ما جاء به ﷺ طار صوابهم، واستعظموا عيب آلهتهم، وتسفيه أحلامهم وأحلام آبائهم وأجدادهم^(١)؛ فناصروه العداة الشديدة، وتكروا لدعوته، وسعوا جاهدين لصدده وصرفه عنها بكل الطرق وشئى الوسائل، ومن هذه الطرق التي سلكوها لصدده ﷺ: السخرية والاستهزاء باللفظ^(٢)، والإيذاء البدني له ﷺ، ولأصحابه، فقد ألقوا عليه سلا الجزور^(٣)، واتفقوا على قتله^(٤)، وحاربوه في مدينته، وشجوا رأسه^(٥)، وأدموا عقبيه^(٦)، وكسروا رباعيته^(٧)، وعلى الرغم من كل ذلك تحمل النبي ﷺ، ابتغاء لمرضاة ربه ﷻ، ولم يتراجع أبداً عن هذه الدعوة التي ألّبت عليه الأعداء من كل جانب، ولم يهادن فيها، ولم يساوم عليها، مثلما يفعل غيره من طلاب الدنيا.

الموقف الثاني: عبادته لله في السرّ والعلن، قبل البعثة وبعدها :

لقد كان ﷺ قواماً لله تعالى طالباً مرضاته، فلم يعرف قبل البعثة إلا دين إبراهيم عليه السلام - وإن كان ناله التحريف - فقد عرف ما يكفيه لأن يكون عابداً يطلب رضا الله تعالى، وقد صفت نفسه فأدركت، وخلص قلبه فألهم، وعلم أن ملة إبراهيم كانت الفطرة المستقيمة، والحنفية السمحة؛ فاختارها وسلك سبيلها.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ١٢٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) محمد الألباني، صحيح السيرة النبوية، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية عمان - الأردن. (٢ / ٢٦).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٧).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٨).

(٦) السيرة النبوية لابن هشام.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام.

فالعبادة المتجهة إلى الله ﷻ كانت في قلبه ونفسه وكيانه وخلقه قبل أن ينزل عليه كتاب هادٍ يذهب حيرته، ووجد الكتاب ينير له السبيل، ويفصل في الأحكام، ولا شك أن العبادة تكون أهدى بعد التنزيل، وأنها في الجاهلية قبل البعثة كانت في قلبه بذرة صالحة نمت؛ لأنها كانت في أرضٍ طاهرة خصبة، ولم يكن لها سقي ولا راعٍ، ومع ذلك آتت أكلها؛ فبعد البعثة المحمدية جاءها السقي والرعي فربت ونمت، وازدهرت في قلب مخلص مدرك، وصار قريباً من الله تعالى بقلبه الطيب المخلص، وبمعرفة شرعه تعالى، وبتصال الوحي دوماً من غير انقطاع، فكان بذلك أعبد خلق الله تعالى، وكلما ازداد علماً بالله وشرعه ازداد عبادةً وخوفاً من الله وإرضاءً له .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه (١) - وسئل عن صوم رسول الله ﷺ .

قال: كَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَرَى أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ مِنْهُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَرَى أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكُنْتُ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتُهُ مُصَلِّيًا، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتُهُ نَائِمًا. (٢)

وقد جاء عنه ﷺ أنه قام حتى تورمت قدماه (٣) ؛ فقيل له: يا رسول الله، أليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " . (٤)

(١) هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النخاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، مولده بالمدينة وأسلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ثلاثٍ وتسعين، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (الأعلام ٢/٢٤).

(٢) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه الترمذي، باب: سرد الصوم، رقم الحديث (٧٦٩)، وقال: حديث حسن صحيح .

(٣) عبد الرؤوف المناوي قال: أي تشقق. (التيسير بشرح الجامع الصغير، الطبعة الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي، ٥٤٨/٢)

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصحيح، باب: تفسير سورة الفتح، رقم الحديث (٤٥٥٦)، الحميدي " في مسنده " رقم الحديث (٧٥٩)، وهذا لفظ الحميدي.

ولقد ثبت عن أبي الدر داء رضي الله عنه ^(١) أنه قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِيْنَا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحِهِ ^(٢). ^(٣)

وعن علقمة ^(٤) أنه قال: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ^(٥) ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ، هَلْ كَانَ يَخْصُ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيْكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَطِيعُ؟! ^(٦)

وهكذا نرى عبادته ﷺ فيها ذكر دائم، وتلاوة للقرآن دائمة، وكان يحرّض أصحابه على أن يقرؤوا وهو يسمع، فإذا ذكروه بأن القرآن أنزل على قلبه؛ قال لهم: إنه يجب أن يسمعه من غيره. ^(١)

(١) هو: عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدر داء: صحابي، من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجرًا في المدينة، ثم انقطع للعبادة. ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك. قال ابن الجزري: هو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظًا، على عهد النبي ﷺ بلا خلاف، مات بالشام سنة اثنتين وثلاثين. (الأعلام للزركلي ٩٨/٥).

(٢) هو: عبد الله بن رواحه بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد: صحابي، أحد شعراء النبي ﷺ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا وأحدًا والخذق والحديبية، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة سنة ثمانٍ فاستشهد فيها. (الأعلام للزركلي ٨٦/٤).

(٣) أخرجه مسلم، في الصحيح، باب: التخيير في الصوم والفطر في السفر، رقم الحديث (٢٦٨٦).

(٤) هو: علقمة بن قيس بن عبد الله، أبو شبيل، النخعي الكوفي، ولد في حياة رسول الله ﷺ، قال أبو ظبيان: أدركت ناسًا من أصحاب النبي ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه. مات سنة اثنتين وستين، وقيل غير ذلك.

ابن حجر تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، دار الفكر، ٢٤٤/٧.

(٥) تقدمت ترجمتها ص ٣٢.

(٦) أخرجه البخاري، في الصحيح باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث (٦١٠١)، ومسلم، في صحيح مسلم باب: فضيلة العمل الدائم، رقم الحديث (١٨٦٥). الحديث متفق عليه.

ومع دوامه على العبادة التي وصفها القرآن الكريم، ودعائه إليها وتبيينها، إلا أنه ومع ذلك كان كثير الاستغفار ؛ لأن الاستغفار عبادة في ذاته؛ لأنه إحساس بوجوب الالتجاء إلى الله، وفيه إحساس بقصور ما يؤديه العبد من العبادة، وهذا فيه استصغار للعمل، وهو إحساس بالحاجة إلى الله والقرب منه، وإلى عظمته وجلاله، وشعور بأن العمل - مهما يكن كبيراً - صغير بالنسبة لله تعالى، ومن يستكثر حسناته كأنه يمتنُّ على الله تعالى في هذه العبادة، وإن الشعور بالاستغفار والالتجاء إليه بعيد عن المن؛ لذا كان سيد العابدين ﷺ يُحَصِّنُ عبادته بالاستغفار؛ حتى لا يكون منه وقوع في الاستكثار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه (٢) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " وَاللَّهِ إِيَّيَّيْ لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ". (٣)

هكذا كان حال رسول الله ﷺ في علاقته بربه وعز وجل ، فكيف يقال بعد ذلك إنه لم يكن رجل دين وإنه مجرد داعٍ اشتراكيٍّ لتوزيع الثروات؟!

هذا ما لا يمكن أن يقوله عاقل أو يُقَرَّرَ به منصف ! (٤)

الشبهة الثالثة عشر:

زعمهم أن دعوة الرسول ﷺ كذب وتلفيق، وأنه يشهد لنفسه .

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح باب: من أحب أن يسمع القرآن من غيره، رقم الحديث (٤٧٦٢)، ومسلم ، في

صحيح مسلم باب: فضل استماع القرآن من حافظه، رقم الحديث (١٩٠٣). متفق عليه

(٢) تقدمت ترجمته ص ٣٤ .

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم واللييلة، رقم الحديث (٥٩٤٨).

(٤) نخبه من كبار العلماء، موقع بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، دار النهضة بمصر.

=<http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-04-0016&value=&type>

قال الله تعالى: كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾
 اتَّوَصَّوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٣﴾^(١) ، ليس بغريب تلك الفرية التي يدعيها سفهاء
 المستشرقين على نبينا ﷺ، فهم في ذلك خلف لمن سلفهم من المشركين واليهود، الذين قال الله
 عنهم: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيُكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾^(٢) .

، ولن يمسننا لغوب من الرد على هذه الفرية؛ لأنها من الفعل المطاوع الذي سنكسره فينكسر،
 ولن نستجلب معاول كبيرة، ولا عددًا حديثه، بل سنكتفي بما يسد الحاجة من ذلك، فإنك إن
 أردت قتل نملة، لم تحتج إلى آلات تعينك على قصفها!؟

وسنورد ببراھين أربعة، تكفي لفهمه :

البرهان الأول: اشتهار النبي ﷺ بالصدق في قومه :

إن ما كان من تلقيب النبي ﷺ بالصادق الأمين لخير شاهد من المشركين في قريش، أقاموا
 الدليل على أنفسهم، والواقع يشهد للنبي ﷺ أنه ما ازداد بالبعثة إلا صدقًا؛ فكان الصادق
 الأمين، وما زال صادقًا مصدقًا أمينًا، جذب بصدقه وعظيم خلقه كثير من أهل مكة؛ فصدقوا
 دعوته، واتبعوه إيمانًا منهم بأن محمدًا ﷺ لا يكذب ولا يتقول؛ فكان صدقه سببًا في إيمان
 هؤلاء جميعًا، وجدير بالذكر - في هذا الصدد - أن النبي ﷺ بصدقه وعظيم خلقه نال من ثقة

(١) سورة الذاريات، الآيتان : ٥٢ - ٥٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٤٦ .

من حوله، حتى لقد كان صدقه سبباً في أحداث كثيرة، منها الاجتماعي والعملية والعقدي، وفي حياته كلها، من ذلك تجارته الخديجة - رضي الله عنها - وزواجه منها، بل وإيمانها بدعوته، ومساندتها له وشدها من أزره ﷺ.

إن الصدق هو المعجزة الأولى التي دفعت الناس إلى الإيمان بالرسالة المحمدية، وظل اليقين بهذا الصدق في سويداء قلب المجتمع المكي، لسيدنا محمد ﷺ حتى مع كفرهم بالرسالة، حتى أن القرآن الكريم جاء مؤيداً لذلك، فقال ﷺ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۗ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾^(١).

البرهان الثاني: تناقض موقف المشركين من النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها :

إن اتهام قريش النبي ﷺ من كذب وتقول بعد البعثة يناقض ما وصفوه من صدق وأمانة قبلها، ذلك أن الواقف على طبيعة دين النبي ﷺ يعلم أنه جاء بدين الوحدانية الذي سفه أحلامهم، وسب أهلتهم، وخالف ما كان عليه آبائهم، وطبيعي أن يقف هؤلاء في البداية موقف المعادي لهذا الدين وصاحبه حتى لو كان محمداً الصادق الأمين ﷺ.

غير أن أحداً من هؤلاء المعاندين لم يعبأ بالتناقض الحاصل بين موقفهم منه ﷺ قبل البعثة، وموقفهم منه بعدها، وليس أدل على مدى تلك المفارقة مما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما

- قال : قَالَ لَمَّا أَنْزَلَتْ وَأَنْذِرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۗ ﴿٢١٤﴾^(٢)

(١) سورة الأنعام، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة الشعراء، الآية : ٢١٤ .

صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي : " يَا بَنِي فَهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ " . لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو هَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ : " أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي " . قَالُوا نَعَمْ ، مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا . قَالَ : " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ " . فَقَالَ أَبُو هَبٍ : تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، أَهَذَا جَمَعْتَنَا .^(١)

فانظر كيف تحول الموقف من النقيض إلى النقيض في لحظة واحدة، وانظر إلى براعة الاستهلال، ولباقة العرض، وبلاغة الحوار منه ﷺ ، وتأمل كيف استنطقهم بصدقه، وألزمهم بتصديقه ، فما كان ﷺ ليجترأ الكذب على الناس، ويكذب على الله؟!!

البرهان الثالث: أمره ﷺ بالصدق ونهيه عن الكذب، مما يوجب اليقين بأنه بعيد عن الكذب إن المتأمل - المنصف - لطبيعة ما اشتملت عليه رسالة النبي الخاتم محمد ﷺ في القرآن والسنة، ليقف على ما فيهما من أمر بالصدق، ونهي عن الكذب وتحذير من آفات اللسان أيًا كان الحال !

ومعلوم أن مما حث الإسلام عليه من الأخلاق، صدق الشخص في القول والعمل، وفي كل حال وشأن مع نفسه ومع غيره، وقبل كل شيء مع خالقه، فكيف للنبي ﷺ أن يكون كاذبا وهو الذي بلغ عن ربِّ العزة قوله ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

﴿١١٩﴾^(٢)

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -، في باب: تفسير سورة الشعراء، رقم الحديث

(٤٤٩٢)

(٢) سورة التوبة، الآية : ١١٩ .

هذا بعض مما بلغه النبي ﷺ عن ربه ﷻ بشأن الصدق، وهو كافٍ لأن يستبعد المنصف أن
يسم النبي ﷺ - القدوة المبلغ لتلك الأوامر والنواهي - بالكذب - على حد ما زعموا -؟! (١)

البرهان الرابع: شهادات بعض المستشرقين :

يقول المستشرق كارليل (٢) : إنه لا يمكن أن يكون " محمد " كذوبًا؛ فإنه إن كان كذلك
فلا يستطيع أن يأتي بمثل هذا الدين العجيب! والله إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتًا
من اللبن إذا لم يكن عليمًا بمواد البناء، على اختلاف أنواعها، فما بالك بمواد بناء صرح شامخ
البنيان مدعم الأركان مثل دين الإسلام الذي ظلَّ على قوته وعظمته قرونًا طوالاً!؟

ويقول الكاتب الإنجليزي المشهور " ه. ج. ويلز " (٣) : إن من أدفع الأدلة على صدق
" محمد " كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون برسالته ، فقد كانوا مطلعين على أسراره ، ولو
شكوا في صدقه، لما آمنوا . (٤)

(١) نخبة من كبار العلماء ، موقع بيان الإسلام، دار النهضة مصر.

=<http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-02-0004&value=&type>

(٢) حسين حسني ، الفيلسوف و المستشرق الإنجليزي توماس كارليل، الحائز على جائزة نوبل، مؤلف كتاب "الأبطال"
الشهير . (الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، الطبعة الأولى، ب العربي، ص: ١٨٦).

(٣) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، هربرت جورج ولز (١٨٦٦ - ١٩٤٦م) هو: الكاتب والأديب البريطاني
المعروف. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٨٨٨م، تولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف. اشتهر بقصصه
الذي يعتمد الخيال العلمي. من مؤلفاته: معالم تاريخ الإنسانية.

موقع صيد الفوائد <http://www.saaaid.net> ص: ١٤٥.

(٤) زكريا هاشم، المستشرقون والإسلام، طبع بإشراف محمد عويضة (بدون تاريخ) (ص: ٢٧٠).

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۗ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾^(١)

الشبهة الرابعة عشر:

زعم المستشرقون أن الرسول محمداً ﷺ حزن حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي بنفسه تراءى له جبريل فقال: "يا محمد إنك رسول الله حقاً"؛ فيسكن حاله وتقر نفسه فيرجع .

يدعي بعض المشككين أن النبي ﷺ حاول الانتحار أكثر من مرة، ويستدلون على ذلك بأنه لما تأخر عنه الوحي فترةً تتراوح بين السنتين ونصف إلى الثلاث سنوات؛ حاول الانتحار بإلقاء نفسه من ذرا شواهق الجبال^(٢)، وقد آنسه القرآن في قوله تعالى :

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾^(٣) ، وأنه أصيب باليأس والإحباط لعدم إيمان الناس بدعوته؛ فحاول قتل نفسه، بدليل قوله تعالى : فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾^(٤)

(١) سورة يونس، الآية : ٣٢ .

(٢) الرفاعي، المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، ١/٣٢٦ . شَهَقُ، يَشْهَقُ - يَفْتَحْتَيْنِ - شُهُوقًا

: اِرْتَفَعَ فَهُوَ، شَاهِقٌ وَجِبَالٌ شَاهِقَةٌ وَشَاهِقًا شَوَاهِقُ

(٣) سورة الضحى، الآية : ٣ .

(٤) سورة الكهف، الآية : ٦ .

ويرمون من وراء ذلك إلى اتهامه ﷺ بما يتنافى مع عصمته؛ محاولةً منهم لنفيها عنه تدريجيًا^(١) ، ولن يستطيعوا أبدًا .

تفنيد الشبهة:

أولاً: الرواية :

نذكر فيما يلي تخريجًا مجملًا للرواية التي ورد فيها هذا الخبر :

ورد عند البخاري^(٢) في كتاب التعبير (٦/٢٥٦١/٦٥٨١) في حديث كيفية بدء الوحي الطويل، الذي رواه معمر^(٣) عن الزهري^(٤) عن عروة^(٥) عن عائشة^(٦) ، وجاء فيه قول الزهري:

(١) نخبة من كبار العلماء، موقع بيان الإسلام، دار نهضة مصر.

=<http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-03-0009&value=&type>

(٢) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجعفي، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقها لحديث، مات سنة ست وخمسين ومائتين في شوال، ولها ثنتان وستون سنة. كتاب التعبير، كيفية بدء الوحي، (تقريب التهذيب ص: ٤٦٨).

(٣) هو: معمر بن راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئًا، وكذا فيما حدّث به بالبصرة، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة. (تقريب التهذيب ص: ٥٤١).

(٤) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، القرشيّ الزهريّ، أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. (تقريب التهذيب ص: ٥٠٦).

(٥) هو: عروة بن الزبير بن العوام، الأسديّ، أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه مشهور، مات قبل المائة سنة أربعٍ وتسعين على الصحيح، ومولده في أوائل خلافة عثمان. (تقريب التهذيب ص: ٣٨٩).

(٦) تقدمت ترجمتها ص ٣٢.

وَفَتَرَ^(١) الْوَحْيَ فَنَزَّ حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ " فِيمَا بَلَعْنَا " حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكَلَّمَا أَوْفَى بِدِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقَى مِنْهُ نَفْسَهُ ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا؛ فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَأْشُهُ^(٢) وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَنَزَّهُ الْوَحْيِ عَدَ الْمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِدِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ .

وهكذا أخرجه بهذه الزيادة أحمد^(٣) " في مسنده " ، وأبو نعيم^(٤) في " الدلائل " والبيهقي^(٥) في " الدلائل " من طريق عبد الرزاق^(٦) عن معمر .

ومن هذه الطريق أخرجه مسلم^(٧) ، لكنه لم يسق لفظه وإنما أحاله على لفظ رواية

(١) فتر الوحي: أي سكن وتأخر نزوله، وزمان الفترة هو: ما بين الرسولين من المدة التي لا وحي فيها. (فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، ١/١٦٥).

(٢) جأشه - بسكون الهمزة - أي: قلبه. (المصدر السابق ١/٩٦).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن حنبل، الشَّيْبَانِيُّ المَرْزِيُّ، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة. (تقريب التهذيب ص: ٨٤).

(٤) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصهباني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان، وكانت وفاته سنة ثلاثين وأربع مائة. من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ودلائل النبوة. (الأعلام ١/١٥٧).

(٥) هو: أحمد بن الحسين بن علي، أبوبكر: من أئمة الحديث. قال الذهبي: لو شاء البيهقي أني عمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك؛ لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. توفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة. من مصنفاته: السنن، ودلائل النبوة، وشعب الإيمان. (الأعلام ١/١١٦).

(٦) هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحميري مولاهم، أبوبكر الصنعائي، ثقة حافظ مصنف شهير، عمي في آخر عمره فتغير، مات سنة إحدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون سنة. (تقريب التهذيب ص: ٣٥٤).

(٧) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، ثقة حافظ إمام مصنف، عالم بالفقه، مات سنة إحدى وستين ومائتين، وله سبع وخمسون سنة. (تقريب التهذيب ص: ٥٢٩).

يونس^(١) عن ابن شهاب^(٢) ، وليس فيه الزيادة .

وكذلك أخرجه مسلم و أحمد من طريق عقيل بن خالد^(٣) : قال ابن شهاب دون الزيادة فيه،
وكذلك أخرجه البخاري في أول الصحيح عن عقيل.

ونستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين :

الأولى : تفرد بها معمر، دون يونس وعقيل؛ فهي شاذة .

الأخرى : أنها مرسلة معضلة فإن القائل : (فيما بلغنا) إنما هو الزهري، كما هو ظاهر من
السياق وبذلك جزم الحافظ^(٤) في الفتح وقال: وهومن بلاغات الزهري وليس موصولاً.^(٥)

ثانياً: مدة انقطاع الوحي، والراجع في ذلك :

(١) هو: يونس بن يزيد بن أبي النّجاد الايليّ ، أبو يزيد مولى لأبي سفيان، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً
وفي غير الزهري خطأ، مات سنة تسع وخمسين ومائة على الصحيح، وقيل: سنة ستين. (تقريب التهذيب ص: ٦١٤).

(٢) هو الزهري، تقدمت ترجمته ص٧٧.

(٣) هو: عُقَيْل بن خالد بن عَقَيْل الايلي أبو خالد الأمويّ مولاهم، ثقة ثبت سكن المدينة ثم الشام ثم مصر، مات سنة
أربع وأربعين ومائة على الصحيح. (تقريب التهذيب ص: ٣٩٦).

(٤) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، أبو الفضل، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. علت له شهرة فقصدته الناس
للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره. قال السخاوي: انتشرت مصنفاته في حياته، وتمادتها الملوك وكتبها الأكابر.
توفي سنة اثنتين وخمسين وثمان مائة. من مصنفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، وتهذيب التهذيب. (الأعلام
١/١٧٨).

(٥) محمد ناصر الدين الألباني، دفاع عن الحديث النبويّ، المكتبة الشاملة بإشراف مكتب الدعوة بالروضة

(ص : ٤٠ - ٤١) - باختصار - .

قال المباركفوري - رحمه الله - ^(١): أما مدة فترة الوحي فاختلّفوا فيها على عدة أقوال .
والصحيح أنّها كانت أيامًا، وقد روى ابن سعد ^(٢) عن ابن عباس ^(٣) ما يفيد ذلك ، وأما ما
اشتهر من أنّها دامت ثلاث سنوات أو سنتين ونصفًا فليس بصحيح .

وقد ظهر لي شيء غريب بعد إدارة النظر في الروايات وفي أقوال أهل العلم ، ولم أر من تعرض
له منهم، وهو أنّ هذه الأقوال والروايات تفيد أنّ رسول الله ﷺ كان يجاور بجرّاء شهرًا واحدًا،
وهو شهر رمضان من كل سنة، وذلك من ثلاث سنوات قبل النبوة، وأنّ سنة النبوة كانت هي
آخر تلك السنوات الثلاث، وأنّه كان يتم جواره بتمام شهر رمضان، فكان ينزل بعده من حراء
صباحًا - أي لأول يوم من شهر شوال - ويعود إلى البيت .

وقد ورد التنصيص في رواية الصحيحين على أنّ الوحي الذي نزل عليه ﷺ بعد الفترة إنّما نزل
وهو ﷺ راجع إلى بيته بعد إتمام جواره بتمام الشهر .

أقول : فهذا يفيد أنّ الوحي الذي نزل عليه ﷺ بعد الفترة إنّما نزل في أول يوم من شهر شوال،
بعد نهاية شهر رمضان الذي تشرف فيه بالنبوة والوحي؛ لأنّه كان آخر مجاورة له بجرّاء، وإذا
ثبت أنّ أول نزول الوحي كان في ليلة الاثنين الحادية والعشرين من شهر رمضان فإنّ هذا يعني

(١) صفى الرحمن المباركفوري، صاحب كتاب "الرحيق المختوم" أشهر كتب السيرة المعاصرة على الإطلاق. كان أستاذًا في
الفقه والحديث لعدة سنوات في الجامعة السلفية بن ارس (الهند). اختير باحثًا في مركز السنة والسيرة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية. وكانت له جهود كبيرة في نصرة الإسلام بالهند. توفي قريبًا سنة ١٤٢٧ هـ.
موقع المكتبة لشاملة .

<http://shamela.ws/index.php/author/451>

(٢) هو: محمد بن سعد بن مَنبِع الهاشمي مولاهم، البصري نزيل بغداد، كاتب الواقديّ صدوق فاضل، مات سنة ثلاثين
ومائتين، وهو ابن اثنتين وستين سنة. (تقريب التهذيب ص: ٤٨٠).

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٦ .

أن فترة الوحي كانت لعشرة أيام فقط، وأن الوحي نزل بعدها صبيحة يوم الخميس لأول شوال من السنة الأولى من النبوة، ولعل هذا هو السر في تخصيص العشر الأواخر من رمضان بالمحاوراة والاعتكاف، وفي تخصيص أول شهر شوال بالعيد السعيد، والله أعلم. (١)

ثالثًا : سبب نزول سورة الضحى :

أخرج البخاري في الصحيح (٤/١٨٩٢/٤٦٦٧) عن جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه (٢) أنه قال:

اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؛ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ (٣) فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم:

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ وَوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ .

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، نسخة ملتنقى أهل الحديث (ص: ٥٢).

(٢) هو: جُنْدُب (وجهان) ابن عبد الله بن سفيان، البجليُّ ثم العَلَقِيُّ، أبو عبد الله، وربما نسب إلى جده له صحبة، ومات بعد الستين. (تقريب التهذيب ص: ١٤٢).

(٣) هي: أم جميل بنت حرب، امرأة أبي لهب. (فتح الباري ٨/٧١٠).

(٤) سورة الضحى، الآيات : ١ - ٣ .

رابعًا : سبب نزول سورة الكهف :

قد بينا في الرد على الشبهة الثانية من هذا البحث، سبب نزول هذه الآية ومثيلاها، وأن النبي ﷺ كان يحزن ويأسف لعدم استحابة قومه له؛ فأنزل الله عليه هذه الآية ومثيلاها ،

تطبيياً لحاطره ﷺ .

الخلاصة في ردّ هذه الشبهة:

قد ظهر وتبين لنا أن هذه الرواية التي تشبث المستشرقون فيها، واستدل بعض علماء المسلمين بها كونها واردة في الصحيح، أنها رواية غير صحيحة، وأنها ليست من شرط الصحيح، فإنها من قبيل المنقطع الذي لا يصح.

وفيما تلاه علمائنا أن مدة انقطاع الوحي كانت مدة قصيرة، أرجعها التحقيق إلى عشرة أيام، ولا يستقيم عقلاً أن يمكث النبي ﷺ مدة ثلاث سنوات - وهو في المرحلة العصبية التي تحتاج كثيراً من الثبيت - بدون وحي .

ثم أين العلاقة فيما ذكره المستشرقون مع سبب نزول سورة الضحى، الذي نص على أنها نزلت بعد فترة من الوحي ، وهم يقولون : حاول الانتحار فسلاه ربه !

وهل كان النبي ﷺ داعياً إلى نفسه حتى يصاب بالإحباط، أم إنه كغيره المصلحين الماديين الذي ييأسون عند فشل خططهم ! بل محمد ﷺ أرفع من ذلك وأجل! إنما كان حزنه فرقاً وحزناً لما ينتظر من كذبه، وعانده مع علمه أن الحق فيما جاء به .

الشبهة الخامسة عشر:

زعم المستشرقون أن محمدًا ﷺ كان يذهب إلى غار حراء وذلك للهروب من حرارة مكة، في موسم متعبٍ لمن كان لا يستطيع الذهاب إلى الطائف .

وَلَا تَهْنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنِ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾^(١)

تقدم لنا آنفًا بيان عور شبهتهم التي زعموا فيها محاولته ﷺ الانتحار، وإلقاء نفسه من شواهد الجبال، ذلك الأمر الذي لا يظن بصغير الصالحين العاقلين، فكيف سيدهم ومقدمهم؟! الرد على هذه الشبهة:

يقول قائلهم الذي عاد إلينا ليلقي علينا فرية جديدة عليها تعضد وتسند الفرية التي تم إبطالها، فتعيد الروح فيها، وهذا المستشرق هو وات يقول : ليس هنا كما يدعو إلى الشك في أن محمدًا ﷺ كان يذهب إلى حراء، وهو تل على مسافة قريبة من مكة، سواء كان ذلك مع عائلته أو بدونها، ور بما كان ذلك وسيلة للهروب من حرارة مكة في موسم متعب لمن كانوا لا يستطيعون الذهاب إلى الطائف .^(٢)

و قد تقدمت معنا شبهتهم التي نفوا فيها التدين عنه ﷺ ، فهل هذه إلا أختها !

(١) سورة النساء، الآية : ١٠٤ .

(٢) المستشرق وات مونت غمري، محمد ﷺ في مكة، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر

تاريخ النشر ١٩٥٢م، ص: ١٠٩ .

وهذه الشبهة الغريبة من نوعها، الصغيرة في حجمها، الكبيرة في دلالتها، الحقيرة في ذاتها، ليست إلا كما قال قوم نوح عليه السلام له: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتِرْنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾^(١) بل هي مثلما قالت ثمود لنيبيها عليه السلام: فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلَنَا وَاحِدًا تَبِعَهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَوْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾^(٢) ، فهذه شبهة الظالمين، تعاقبوا عليها جيلاً بعد جيل، بادر بقولها أولهم، ويقوم عليها آخرهم، لكنهم في داخل أنفسهم يعلمون أنهم عن الصراط ناكبون، وللحق معاندون.

ثم إننا نتساءل تنزلاً عند ما قاله المستشرقون فنقول: إن النبي ﷺ كان يتعبد ربه في غار حراء ليلاً كما أخبرتنا عائشة الصديقة - رضي الله عنها -^(٣)، والقرآن أنزل عليه ليلاً، في ليلة القدر كما هو معلوم، فأين هي تلك الشمس التي يزعمون أنه ﷺ هرب من حرارتها، أفكان من الممكن عند هؤلاء العقلاء أن تخرج الشمس ليلاً؛ لتكون حجة لهم، وسنداً لترويح شبهم، أم إنه المنهج الذي تبرر الغاية فيه الوسيلة، فما دام أن ذلك ضد الإسلام وأهله فسيتمكن ولو لم يكن من الممكنات!

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٢٤ - ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، حديث عائشة - رضي الله عنها . كيف كان بدء الوحي، رقم الحديث (٣).

ثم ما هو هذا الحرُّ الذي يهرب منه ذلك النبي العظيم ﷺ ، وهو الذي كان يرعى الغنم في مكة، أم إنكم تقولون إنه كان يرعاها ليلاً، ويجرسها نهارًا !

أيها المستشرقون، أين أنتم من تلك الغزوة، غزوة تبوك، التي كانت في أشد أوقات الحرِّ وساعاته، حتى لقد سماها الله ساعة العسرة، ولعسرها تخلف عنها المنافقون - وهم أولئك الذين تنطبق عليهم أوصافكم - قائلين: وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قَدْ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بقوله: قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ (١)

وقد سار في هذه الغزوة من تزعمون أنه كان يهرب من حرِّ مكة، فرما تقولون - كما قلتم من قبل - : إنه التأثير البيئي، فحيث كان لا يحتمل الحرارة بمكة، غدا محتملاً لها في المدينة، بعد أن عاشر أهلها؛ فنقول لكم: هذه الحوادث التاريخية، تناقض أقوالكم، وتكذب ادعاءاتكم !

الشبهة السادسة عشر:

زعم المستشرقون أن الوحي كان يبلغ إلى محمد ﷺ على لسان إسرائيل عليه السلام لمدة ثلاث سنين، قبل السنين العشر التي كان الوحي يأتيه فيها على لسان جبريل بل أن نبدأ بالرد على هذه الشبهة، فإني رأيت أنه من باب الإنصاف أن أبين أن المستشرق في ذكره لهذه الشبهة، قد اعتمد على رواية اعتمد عليها كثير ممن تكلموا في شأن بداية الوحي، وانقطاعه من علماء المسلمين ومؤرخيهم، إلا أنه لا بدَّ من ملاحظة الفارق بين إيراد علماء المسلمين لهذه الرواية، وبين إيراد المستشرق لها، فعلماء المسلمين حين يثبتون هذه الرواية، ويرون صحتها، يوردونها على صفاء للدين، بل هم يرون أن هذه حجة لهم، ولهم في ذلك عذر !

(١) سورة التوبة، الآية : ٨١ .

حتى إن بعضهم وهو الإمام ابن عساكر ^(١) يحاول استنباط الحكمة في ذلك فيقول : والحكمة في توكيل إسرائيل به، أنه الملك الموكل بالصُّور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة، ونبوءته ﷺ مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي ^(٢)، وعلى العكس من ذلك نرى المستشرق يحاول الطعن بهذه الرواية في ثوابت ديننا، ويقوم بتحريف بعض ما جاء فيها، كما هي عادة وديدن المستشرقين، ومن قبلهم أهل الكتاب !

فيقول في نقله لهذه الرواية: وقد أخبرنا - يعني ابن إسحاق ^(٣) - في موضعٍ آخر " أن الوحي كان يبلغ إلى محمد ﷺ، على لسان إسرائيل لمدة ثلاث سنين، قبل السنين العشر التي كان الوحي يأتيه فيها على لسان جبريل " ا. هـ ^(٤) هكذا أورد المستشرق وات هذه الرواية ، إلا أنه لم يراع المنهج العلمي - الذي يطالبنا بالأمانة في النقل - في نقله لهذه الرواية !

وسنبن فيما يلي تلك الثغرات التي وقع فيها المستشرق، من حيث يشعر أو لا يشعر، ومنها يتبين لنا عدم دقة المستشرقين العلمية المنهجية:

الثغرة الأولى : التحريف و التلاعب في بعض عبارات النص، وإليك النص كما جاء في الرواية:

(١) هو: علي بن الحسن بن هبة الله، أبو لقاسم، ثقة الدين بن عساكر الدمشقي: المؤرخ الحافظ الرحالة، كان محدثاً لديار الشامية، ورفيق السمعاني (صاحب الأنساب) في رحلاته، مولده ووفاته في دمشق، كانت وفاته سنة إحدى وسبعين وخمسمائة له: تاريخ دمشق الكبير. (الأعلام ٤/٢٧٣).

(٢) جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، (٢/٢٦٧).

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن يسار، أبوبكر المطلي مولاهم، المدني نزيل العراق، إمام المغازي: صدوق يدلّس ورمي بالتشيع، مات سنة خمسين ومائة، ويقال بعدها. (تقريب التهذيب ص: ٤٦٧).

(٤) في كتابه محمد ﷺ في مكة (ص: ١١٥).

جاء في تاريخ الإمام أحمد^(١) عن داود بن أبي هند^(٢) عن الشعبي^(٣) أنه قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرائيل ثلاث سنين؛ فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه... " (٤)

وجاء في مسند الربيع^(٥): قال أبو عبيدة^(٦) بلغني عن النبي ﷺ... قال: وبعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة وقرن معه إسرائيل ثلاث سنين ولم يكن ينزل عليه شيء، ثم عزل عنه إسرائيل وقرن معه جبريل عليه السلام... " (٧)

فانظر كيف جاء النفي في الروايتين، وانظر بعد ذلك كيف وقع الإثبات من المستشرق المنصف !

(١) تقدمت ترجمته ص ٧٨.

(٢) هو: داود بن أبي هند، القشيري مولاهم، أبوبكر أو أبو محمد البصري: ثقة متقن، كان يهيم بأخرة، مات سنة أربعين ومائة، وقيل قبلها. (تقريب التهذيب ص: ٢٠٠).

(٣) هو: عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو: ثقة مشهور فقيه فاضل، ما رأيت أفقه منه؛ مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين سنة. (تقريب التهذيب ص: ٢٨٧).

(٤) فتح الباري (١ / ٢٧).

(٥) هو: الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي، إمام الإباضية، لا يُعرف بالثقة والضبط حتى عند أتباعها لإباضية ! له : المسند، الذي سماه بعضهم -على قاعدة : يسمونها بغير اسمها - : " الجامع الصحيح - مسند الإمام الربيع "، ولا يعرف من رواه عنه. (الأعلام للزركلي ٣/١٤، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، دار المعارف، الطبعة الأولى ٣/٥٩٠، و١٣/١١٢، ٧٢٩).

(٦) هو: مسلم بن أبي كريمة، روى عن علي عليه السلام، وهو مجهول. (الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ٨/١٩٣، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، الإمام الذهبي، دار الكتب العلمية، ٦/٤١٩).

(٧) مسند الربيع بن حبيب، دار الحكمة - مكتبة الاستقامة (ص ٤٤/ح ٦٣).

الثغرة الثانية : أن هذا الخبر وإن تناقله جملة من العلماء والمؤرخين، إلا أنه لا يصح؛ لأنه مرسل منقطع، ومع ذلك فهو مخالف لما جاء في الصحيح، وقبل بيان العلتين اللتين اشتمل عليها هذا الخبر جدير بنا أن نقدم تخرجه:

فقد أخرج هذا الحديث الإمام أحمد في تاريخه كما تقدم، و الأبنوسي^(١) " في مشيخته " (٢/١٣١/٢١٨)، والبيهقي^(٢) " في دلائل النبوة " (٢/١٣٢)، كلهم عن داود، عن الشعبي فذكره .

وله متابعة ، أخرجها : الربيع بن حبيب " في مسنده " كما تقدم عن أبي عبيدة .

إلا أن حديث الشعبي مرسل منقطع؛ فلا تقوم به حجة، كما هو معلوم في حكم المرسل.

وأما متابعة أبي عبيدة، فمع كونها مشتملة على الانقطاع والإرسال، إلا أنها احتوت على علةٍ أخرى وهي كون أبي عبيدة هذا مجهول، كما تقدم في ترجمته؛ فحديثه في نفسه غير مستقيم، فكيف يكون عاضداً !

ومما يقوي كون هذا الحديث غير مقبول، أنه خالف الرواية الصحيحة التي رواها الإمام البخاري^(٣) في الصحيح (٣/١٣٩١/٣٦١٤)، فقد روى هذا الحديث، ولم يذكر قصة إقران إسرئيل بالنبي ﷺ، مما يزيد علةً ثالثة، وهي إنكار هذه الجملة .^(٤)

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسين، بن الأبنوسي، قال الخطيب: كان سماعه صحيحًا، مات سنة سبع وخمسين وأربعمائة. (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ١/٣٥٦).

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧٨.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٧٧.

(٤) ألفية السيوطي مع شرحها لمحمد بن علي آدم، الطبعة الرابعة، مكتبة ابن تيمية، ١/٢٣٣).

قال: بل هو المنكر بعينه، المنكر الذي روى غير الثقة مُخَالَفًا. ومن المقرر أنه إذا خالف الضعيف الثقة

وقد أنكر هذا الحديث جماعة من العلماء، ودونك ذكرًا لبعضهم :

١. قال ابن سعد^(١): ذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر- يعني الواقدي -^(٢) فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرائيل قرن بالنبي ﷺ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون: لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض ﷺ. ^(٣)
٢. وقال أبو شامة^(٤): هذا منقطع. ^(٥)
٣. وقال الشيخ أبو زهرة^(٦): وهذه الرواية لا نحسب أنها عالية، أولاً: لم يثبت أن إسرائيل هو الذي كان يعلمه في مدة الثلاث سنين الأولى.

فحديثه ساقط.

(١) تقدمت ترجمته ص ٧٣.

(٢) هو: محمد بن عمر بن وأقد الأسلمي مولاهم، الواقدي أبو عبدالله المدني الحافظ البحر: اتفق الحفاظ على ترك حديثه، وهو من أوعية العلم، لكن هلا يتقن الحديث، وهو رأس في المغازي والسير، إلا أنه يروي عنك لضرب، مات سنة سبع ومائتين، وعاش ثمانية وسبعين سنة رحمه الله وسامحه. تذكرة الحفاظ، الذهبي، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، ١/٣٥٤).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، (١/١٥٠).

(٤) هو: الإمام الحافظ أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المقدسي ثم الدمشقي، المقرئ: ولي مشيخة الحديث بالدار الأشرافية، وكان مع براعته في العلوم متواضعًا تاركًا للتكلف ثقة في النقل، كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة، توفي سنة خمسٍ وستينٍ وستمائة. (تذكرة الحفاظ ٤/١٦٨).

(٥) أبو شامة، شرح الحديث المقتفي في مبعث المصطفى ﷺ، الطبعة الأولى (ص: ١٧٩)، مكتبة العمرين العلمية.

(٦) هو: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعروف بأبي زهرة، المتوفى سنة أربعٍ وتسعينٍ وثلاث مائة وألف.

(زهرة التفاسير له، دار الفكر العربي).

ثانيًا: أن الشعبي تابعي ولم يذكر من الذي نقل له هذا من الصحابة، وقد أنكره كثير من الرواة (١).

الشبهة السابعة عشر:

زعم المستشرقون أن النبي ﷺ لم يكسر صنمًا في المرحلة المكية .
ما زال المستشرقون ، ولا يزالون يوردون علينا الشبه والتشكيك ظانين أنهم بأفعالهم وإيراداتهم الباطلة، سينالون من جناب نبينا ﷺ، ولكن نقول لهم : إن الله رفعه ورفع ذكره، وكرمه وأعلى شأنه وقدره، فهل أنتم خافضون لما رفعه الله، أم أنتم الواضعون لما أعلاه الله !

ها أنتم الآن تزعمون أنه ﷺ لم يكسر صنمًا في مكة، في عهده الأول، فما تريدون أن تقولوا ؟
أتريدون التحقيق لقولكم إنه كان مدهنًا لأهل مكة ؟ أم تبالغون في الاحتجاج لرأيكم الذي يزعم أنه تنازل عن مبادئه، بل عن مبدئه الأصيل وهو الدعوة إلى توحيد الله ؟ ولكن ...

هل رأيتم نبينا ﷺ أثنى يومًا على الكفار وأديانهم ؟

أم هل شاهدتموه تقبل ولو واحدًا من تلك العروض التي عملها المشركون للترويج لدينهم ؟
وأنتم تعلمون أنه عذب، وهجر، واضطهد، وقوطع في الشعب، ولكنه لم يزدد بذلك إلا ثباتًا
!؟

(١) خاتم النبيين ﷺ ، أبو زهرة، دار الفكر العربي، (١/ ٢٧٧).

الشبهة الثامنة عشر:

قال المستشرقون تقولون: إن نبيكم كان متواضعاً وأنه كان يعطف على الفقراء والمساكين، ثم

ينفي القرآن صفة التواضع عنه؛ فيقول: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ

مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ (١)

وهاهو يطردهم يريد زينة الحياة الدنيا.

إن ما جناها المستشرقون على نبينا ﷺ ففيهم صفة التواضع عنه والتشكيك في عطفه على

الفقراء والمساكين منطوقاً، ملبسين له صفة التكبر مفهوماً، راغبين بذلك الانتقاص من شخصه

الكريم ﷺ، بل ويستدلون على افتراءهم بما أنزل إليه، يريدون أن تقوى حجتهم، ويرتفع

باطلهم، ولدحض باطلهم، والإجابة على فريتهم يقال لهم :

و ما حدث هو أن بعض السادة من المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم يوماً

يستمعون فيه إلى حديثه ، ويجعل للفقراء والعيبد يوماً، فلقد كان هناك تفاوت طبقي رهيب

بين السادة والعيبد، فلما رأى السادة من المشركين أن بعض الفقراء الضعفاء من العبيد يجلسون

بجوار الوجهاء من المسلمين ﷺ لم يعجبهم هذا الأمر، وقالوا له : أجلسنا بجوار هؤلاء العبيد ؟

إن رائحتهم تؤذينا، فإن أردت أن نسمع منك؛ فاجعل لنا يوماً، ولهم يوماً (٢) ، قالوا ذلك

بمنطق المتكبرين، وهذا بنظرة الكفرة إلى الصحابة - ، والرسول ﷺ كان حريصاً كل الحرص

على هداية الناس أجمعين، فهو الذي رأى النار وأهلها بعينه ليلة المعراج، وهو الذي قال : " لَوْ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار طيبة، (٥ / ١٥٢) - بتصرف - .

تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ؛ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَحَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ بِنَحَارُونَ إِلَى اللَّهِ". (١) فالرسول ﷺ لم يجبههم إلى طلبهم، ولكنه كان مجرد تفكير منه فحسب، ولم يكن ذلك لمصلحته الشخصية، ولكن حرصًا على أن يهتدوا، فقد كان حزينًا عليهم أشد الحزن، حتى إنه لكاد يهلك بذلك، وآيات القرآن شاهدة بذلك، إلا أنَّ مجرد هذه الحاطرة لم ترض الرب ﷻ؛ فأنزل عليه هذه الآيات لئلا يجيبهم إلى ما طلبوا، فإن الميزان عند الله التقوى، لا الحسب والنسب، " وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ". (٢) فبينما ﷺ سيد المتواضعين، وإمام الزاهدين ، وهو الذي كان يقول : " أَكُلُّ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ ". (٣)

أما قوله: تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ ﴿٢٨﴾ (٤) فهو للفت نظره ﷺ أن هذا فعل من يريدون زينة الحياة الدنيا، لئلا يكون مثلهم، كما أن أيَّ توجيه للرسول ﷺ هو توجيه لأمته من باب أولى. إن الرسول ﷺ لم يثبت عنه قطُّ أنه طرد أحدًا من المنافقين المتربصين، فكيف بذلك مع المسلمين !

(١) الحديث أخرجه الترمذي، كتاب الزهد عن الرسول، في باب فيقول النبي ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتكم قليلاً(٤/٥٥٦/٢٣١٢) عن أبي ذرٍ ﷺ ، وقال : حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه مسلم، في باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث (٧٠٢٨).

(٣) أخرجه البغوي " في شرح السنة "، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، رقم الحديث (٢٨٣٩) وصححه الألباني " في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، ، رقم الحديث (٥٤٤).

(٤) سورة الكهف، الآية : ٢٨ .

ثم أين هذا مما جاء في كتابهم المقدس من وصف آهتهم للمرأة التي استنجدت بالكلاب، هذا الوصف الذي يقول : ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك النحوم ^(١) ، صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد، يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا؛ فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة؟ فأنت وسجدت قائلة : يا سيد أعني ؛ فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب؛ فقالت: نعم يا سيدي، والكلاب أيضاً تأكل من الفئات الذي يسقط من مائدة أربابها، حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن كما تريدين ؛ فشغيت ابنتها من تلك الساعة . ^(٢)

وقد ورد عنه أيضاً أمره لتلاميذه ألا يسلموا على أحدٍ في الطريق، فقال: ولا تسلموا على أحدٍ في الطريق . ^(٣)

أين هذا من قول رسولنا ﷺ حين سأله رجل: أيّ الإسلام خير؟ : " تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ " . ^(٤)

(١) التُّحُومُ-بالضَّمِّ - : الفَصْلُ بين الأَرْضَيْنِ من المعالِمِ والحُدُودِ . (تاج العروس ٣١/٣٢٣).

(٢) متى ١٥ : ٢١ - ٢٨ ، نقلاً عن ردود علماء المسلمين (ص: ٢٦١ - ٢٦٢).

(٣) لوقا ١٠ : ٤ ، نقلاً عن المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري، في باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث (١٢/١٣/١)، ومسلم، في باب بيان تفاضل الإسلام وأيام وره أفضل، رقم الحديث (١٦٩). متفق عليه .

الشبهة التاسعة عشر:

زعم المستشرقون أن محمداً ﷺ يمنع سكان أهل مكة الأصليين من الحج ، بحجة أن المشركين نجس .

إن سيدنا محمداً ﷺ لم يمنع أهل مكة من الحج إلا المشركين منهم، وذلك لعدة اعتبارات إيمانية، وأخلاقية، فأما الإيمانية، فلأنهم عباد أصنام، يشركون بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وهذا البيت بيت الله الحرام، وقد أمر الله نبيه بما أمر إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - أن يظهر بيته من هذه الأوثان، فلا مكان إذاً للمشركين فيه.

أما الناحية الأخلاقية، فهي أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراةً، رجالاً ونساءً ! ^(١)

أما قول الله تعالى: **إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ** ﴿٢٨﴾ ^(٢) ، فهي نجاسة معنوية متعلقة

بقلوبهم لا بأبدانهم؛ لأنهم عبدوا مع الله آلهةً أخرى، وليست نجاسة حسية . ^(٣)

إن الذين يتهمون نبينا ﷺ بالدكتاتورية في طرده للمشركين من الجزيرة العربية جاء في

كتابهم المقدس إبادة الشعوب المشركة بكاملها، بما فيها بهائمها التي لا ذنب لها، بل

(١) سيرة ابن كثير (١ / ٢٨٤).

(٢) سورة التوبة، الآية : ٢٨ .

(٣) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الطبعة الأولى، (٣٩٨/٢) دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، عبد الرحمن السعدي، تيسير الكرم المنان في تفسير كلام المنان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، (ص: ٣٣٣).

وحرق كل أمتعتها، فيقول : إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إهلك لتسكن فيها، قولاً قد خرج أناس بنو لثيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها، وفحصت وفتشت وسألت جيّداً وإذا الأمر صحيح، وأكد قد عمل ذلك الرجس في وسطك؛ فضرّباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إهلك؛ فتكون تالاً إلى الأبد . (١)

الشبهة العشرون:

زعموا أن خلوة النبي ﷺ وتعبده في حراء، وتأمله في الكون علويه وسفليه، وأنه بتعبده وتفكره خُيِّل إليه أنه النبي المنتظر، وأنه قد تمكن منه هذا التخيل حتى تراءى له أنه يوحى إليه وأن الملك يلقيه .

لقد حاول المادّيون الذين لا يؤمنون بوجود قوى روحية غيبية وراء المادة، ومنّ على شاكلتهم ممن يحملون الحقد والضغن للإسلام ونبيه ﷺ، حاول هؤلاء جميعاً التشكيك في الوحي المحمدي؛ فنفوا أن يكون وحياً من خارج نفس النبي ﷺ، وقالوا: إن هو حي من داخل نفسه، فليس هنا كملك تلقى عن الله، ثم ألقى بما جاء على النبي ﷺ ولا غير ذلك من أن واع الوحي ، (٢) و لا يخفى أن النتيجة المقصودة من هذه المقدمة، هي الادعاء أن نبوته ﷺ

(١)ردود علماء المسلمين (ص : ٣٣٢ - ٣٣٣).

(٢)محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، الطبعة الثانية ، مكتبة السنة، (ص : ٩١).

كانت ادعاءً من تلقاء نفسه، وليست هي وحيٌّ من عند الله. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ

إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (١).

إن ما زعمه المستشرقون من أن خلوة النبي ﷺ وتعبده في حراء، وتأمله في الكون العلوي والسفلي، وأنه بتعبده وتفكره خيل إليه أنه النبي المنتظر، وأنه قد تمكن منه هذا التخيل حتى تراءى له أنه يوحى إليه، وأن الملك يلقنه، كل ذلك دعاوى باطلة، ومقدمة لا تؤدي إلى ما يريدون من نتيجة، ودونك بيان بطلانها في النقاط التالية :

١. النبي ﷺ وهو يتعبد ما كان يدور بخلده أنه نبي هذه الأمة المبعوث في آخر

الزمان، وليس أدل على هذا من قول الحق تبارك وتعالى: وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ

إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ (٢)

فهي صريحة في أن النبي ﷺ ما كان يؤمل ذلك، ولكن ألقى الله إليه بالكتاب رحمة من الله بالنبي، وبالناس كلهم، لا كسب له فيه بعلم، ولا عمل ولا رجاء ولا أمل . (٣)

٢. غاية التعبد والتفكر في الكون أن يصلا بصاحبهما إلى الإيمان بوجود إله خالق

(١) سورة الكهف، الآية : ٥ .

(٢) سورة القصص، الآية : ٨٦ .

(٣) محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن، الطبعة الثانية، مكتبة السنة القاهرة، (ص : ٩٩).

مدبر قيوم عالم قادر، أما أنهما يؤديان إلى كل هذه العقائد والتشريعات المتنوعة، والآداب والتوجيهات التي لم تكن تخطر على بال إنسان، فهذا أمر غير معهود في سنة الكون ومجرى العادة.^(١)

٣. نقول للمستشرقين : لقد أنكرتم على نبينا ﷺ رؤية الملاك، في حين أن كتابكم المقدس أثبتته حتى لنسائكم: فترأى ملاك الربّ للمرأة.^(٢) أما مريم - عليها السلام - فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين، واحداً عند الرأس، والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً .^(٣)

٤. إن المصاب بحالة نفسية تكون له أحوال غير طبيعية، يعرفها المقربون منه والرسول ﷺ لم يعرف عنه قطّ أنه كما يقولون (يهلوس)، أو تعتريه أيّ حالة نفسية غريبة، بل كان معروفاً بالحكمة والصدق والأمانة، وغير ذلك من الصفات الحميدة التي لا يمكن أن تكون في رجلٍ غير سويّ.^(٤)

٥. على افتراض أنه كان يتخيل .. فهل الخيال يأتي بخير ؟ هل وجدنا إنساناً تخيل رؤية شيء لا وجود له ، ثم بعد ذلك أخبرنا أن الذي رآه أمره بخير أو نهاه عن شرّ، أو وضع له منهجاً؟!^(٥)

(١) المصدر السابق.

(٢) قضاة ٣: ١٣، نقلاً عن ردود علماء المسلمين (ص: ٢٣٩).

(٣) يوحنا ٢٢: ١١ - ١٢، نقلاً عن المصدر السابق.

(٤) ردود علماء المسلمين (ص: ٢٣٩).

(٥) المصدر السابق.

إنما مثل المستشرقين ، كمثل رجل أراد أن يبني بيتاً من خيوط العنكبوت، فهل تراه يستند على ذلك من شيء؟!؟

الشبهة الحادية والعشرون:

يزعم المستشرقون أن الرسول ﷺ كان يتمتع بما يسميه الخيال المبدع، وهو في هذه الخاصية يشارك غيره من الفنانين والشعراء والكتاب، ذوي الخيال المبدع .
يقول المستشرق الإنجليزي مونت غمري^(١): إن محمداً كان شديد الإخلاص لدعوته، شديد الثقة في نفسه، فكان إذا حدثت حادثة في حياته، أو اعتقد أن شيئاً ما صالح، انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقد، فيصوغه في كلام قرآني، ثم يعتقد هو نفسه أن هذا كلام الله أوحى إليه، فيقدمه للناس على أنه كلام الله. ^(٢)

إن الهدف من إيراد هذه الشبهة من الجلاء أن يصفوا نبينا الصادق ﷺ بالإبداع في الخيال ليكون منتهى أمره كالشعراء الذين يتخيلون! والخيال المبدع ينشأ نتيجة تفاعل مكونات معرفية. معارف، ذكاء، أسلوب معرفي، ومكونات لها علاقة بالمجهول وهي (خصائص شخصية ودوافع) ولها مكونات تعود لسياق الحالة والمحيط. وهذا من أكبر الافتراءات على الحبيب ﷺ. ^(٣)

وستكون ردودنا على هذه الشبهة - وهي خاتمة الردود في هذه الدراسة - بآيات ربنا، التي أنزلها حجةً على العالمين، وهديً ورحمةً لقوم يوقنون:

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٣ .

(٢) د. محمد بهاء الدين، المصادر الخالية في دراسات المستشرقين للقرآن الكريم (ص: ١٤٩ - ١٥٠).

(٣) الباحث.

قال تعالى في إثبات أن نزول القرآن من عنده: وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾^(١)

وقال ينفي الشاعرية وغيرها عن نبيه ﷺ: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ

﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٤٣﴾^(٢)

وقال ينفي تأثره ﷺ بأحدٍ ممن سبقه: وَمَا كُنْتُمْ تَلَوْنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا

لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾^(٣)

في خلاف بين أهل العلم بان الرسول ﷺ يكتب. قال ملتقى أهل الحديث انه كان يكتب

٧٣ لساننا نقل الأمام النووي عن القاضي عياض خلاف في ذلك. وعزى ذلك إلى أن الباجي

وغيره ذهبوا إلى أن الرسول ﷺ لم يمت حتى كتب كما في صلح الحديبية (٤)

(١) سورة الشعراء، الآيات : ١٩٢ - ١٩٦ .

(٢) سورة الحاقة، الآيات : ٤١ - ٤٣ .

(٣) سورة العنكبوت، الآيتان : ٤٨ - ٤٩ .

(٤) صحيح البخاري باب صلح الحديبية.

وقال ينبغي أن يكون القرآن قصصًا اكتتبها النبي ﷺ فكتبت له ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا
فَهِيَ تُحْمَلُ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأُصِيلًا﴾ ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾^(١)

١ . وأخيرًا فهذه آيتان تبين لكل ذي لب أراد الحق، أن القرآن كله من عند الله،

وأن النبي ﷺ لم يكن له سوى البلاغ ، فيقول تعالى : ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا
مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾
قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿١٦﴾^(٢) .

(١) سورة الفرقان، الآيتان : ٥ - ٦ .

(٢) سورة يونس ، الآيتان : ١٥ - ١٦ .

النتائج والتوصيات

النتائج:

١. بطلان جميع الشبهات الوارد ذكرها في هذه الدراسة من خلال الأدلة والبراهين التي أوردتها الباحث في الفصل الثاني.
٢. أن المستشرقين ليسوا على درجة واحدة في عدائهم للإسلام، بل منهم المنصف والمقسط. وقد ذكرنا أهل الإنصاف منهم، وذلك ما بارنا عليه ديننا السمح الحنيف.
٣. يعتمد المستشرقون على الضعيف والشاذ من الروايات لان ذلك يصب في مصلحتهم، وهذا واضح في الشبهتين الرابعة والسادسة عشر.
٤. إثارتهم الشكوك حول معطيات التاريخ، حيث أنكر بعضهم - كما في الشبهة الرابعة - الرسائل التي كان يرسلها النبي ﷺ لمعاصريه من الملوك، مع أن المؤرخين مجمعين على ذلك. ومثل ذلك تحريف النص الوارد في الشبهة السادسة عشر.
٥. صدق رسول الله ﷺ حيث يقول: " إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ" ^(١) ، فقد رأينا ذلك واضحًا في انتصار المستشرقين توماس و ويلز للنبي ﷺ، وفيهما الكذب عنه ^(٢) ، مع أنه أثر عن الأول استهزائه بالقرآن !
٦. إن الله يقيض في كل عصر علماء يدافعون عن دينهم ونبينهم ﷺ .

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح باب: إنَّ الله يؤيد الدِّينَ بالرجل الفاجر، رقم الحديث (٢٨٩٧)، ومسلم، في الصحيح

باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم الحديث (٣١٩). (متفق عليه)

(٢) كما تقدم في الشبهة الثالثة عشر .

٧. إن الكيد للإسلام وأهله ليس هو وليد اليوم، بل هو نتاج وثمره جهود استمرت قروناً.
٨. إن الإسلام قائم بذاته، لا بأهله، ففي حين نرى تخطيط المستشرقين وتنظيمهم واستمرارهم نحو تحقيق أهدافهم، نرى حال المسلمين على العكس من ذلك تماماً.
٩. على الرغم من كثرة انتقادات أعداء الإسلام للنبي ﷺ إلا أن ذلك جعل الكثير يبحث و يتعرف على هذا الدين وعلى النبي الكريم ﷺ.

التوصيات :

١. إجراء دراسات مماثلة على مر العصور الإسلامية.
٢. لا بد من أن تحب رسول الله ﷺ ومن الثابت أن الحب ليس عملاً إرادياً، ماذا نفعل؟ قال بعض العلماء: أنت حينما تقرأ سيرة النبي ﷺ ترى تواضعه فتحبه.
٣. ينبغي على طالب العلم حرصه على الاهتمام بعلم المصطلح والجرح والتعديل؛ حتى يُصَفُّوا السنة مما دخل فيها على مر العصور والدهور من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي دخلت في بطون كثير من كتب التفسير والحديث والفقهاء فضلاً عن كتب المواعظ والرقائق والقصص.
٤. تأسيس بنك الكتروني لجمع الشبهات التي تدور حول الدعوة الإسلامية. حتى يسهل على الباحث الوصول إليها.

الفهارس العلمية المتنوعة

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	التسلسل
٣١	٣	الشعراء	١
٣١	٨	فاطر	٢
٣٥	٧	الشورى	٣
٣٥	٢٨	سبأ	٤
٣٥	١٠٧	الأنبياء	٥
٣٧	٨١	ال عمران	٦
٣٨	٣٧	ق	٧
٤٠	١٠	المزمل	٨
٤١	٤٨	الأحزاب	٩
٤١	٧٤.٧٤	الإسراء	١١
٤١	٩	القلم	١٢
٤٢	٤٦	الحج	١٣

٤٤	٩	الإنسان	١٤
٤٤	٢٩	هود	١٥
٤٥	٢٣	الشورى	١٦
٤٧	١٦	النور	١٧
٥٣	٢٧٥	البقرة	١٨
٥٣	٤٣	فصلت	١٩
٥٤	٥	الكهف	٢٠
٥٧	١٥١	الأنعام	٢١
٥٨	٦٥	آل عمران	٢٢
٥٨	٩٣	آل عمران	٢٣\
٥٩	٣٢	التوبة	٢٤
٦٠	١	النصر	٢٥
٦٢	٩١	المؤمنون	٢٦
٦٣	٢٤ - ٢٢	الأنبياء	٢٧

٦٣	٥١-٤٨	العنكبوت	٢٨
٦٣	١١-٩	ق	٢٩
٦٣	١٦	المؤمنون	٣٠
٦٣	١٩-١٨	السجدة	٣١
٦٣	٣٩	الأنعام	٣٢
٦٣	١٦٢	الأنعام	٣٣
٧٠	٥٣-٥٢	الذاريات	٣٤
٧١	١٤٦	البقرة	٣٥
٧٢	٣٣	الإنعام	٣٦
٧٢	٢١٤	الشعراء	٣٧
٧٤	١١٩	التوبة	٣٨
٧٥	٣٢	يونس	٣٩
٧٦	٣	الضحى	٤٠
٧٦	٦	الكهف	٤١

٧٦	٣.١	الضحى	٤٢
٨٣	١٠.٤	النساء	٤٣
٨٤	٣٤-٣٣	المؤمنون	٤٤
٨٤	٢٥-٢٤	القمر	٤٥
٨٥	٨١	التوبة	٤٦
٩٢	٥٢	الأنعام	٤٧
٩٣	٢٨	الكهف	٤٨
٩٥	٢٨	التوبة	٤٩
٩٧	٥	الكهف	٥٠
٩٨	٨٦	القصص	٥١
١٠١	١٩٦-١٩٢	الشعراء	٥٢
١٠١	٤٣-٤١	الحاقة	٥٣
١٠١	٤٩-٤٨	العنكبوت	٥٤
١٠٢	٦.٥	الفرقان	٥٥

١٠٢	٥٢	الأنعام	٥٦
-----	----	---------	----

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الراوي	الحديث	التسلسل
٣٢	النعمان بن بشير	ان الحلال بين والحرام بين	١
٣٢	عائشة بنت أبي بكر	هل أتى عليك يوم اشد من يوم أحد	١
٣٢	ابن عباس	لا تغتم ولا تملك نفسك	٣
٣٣	عائشة بنت أبي بكر	إذا قال أحدكم آمين	٤
٣٣	أبو هريرة	لم أبعث لعانا	٥
٣٩	أبو هريرة	صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة	٦
٤٢	بلال بن رباح	لقد احفت الله	٧
٦٧	انس بن مالك	كان يصوم من الشهر	٨
٦٨	عائشة بنت أبي بكر	أفلا أكون عبدا شكورا	٩
٦٨	أبي الدرداء	خرجنا مع رسول الله	١٠
٦٩	علقمة	كيف كان عمل النبي	١١

٧٠	أبو هريرة	والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة	١٢
٦٢	ابن عباس	يا بني فھر ، يا بني عدي	١٣
٧٧	عائشة بنت أبي بكر	كيف بدء الوحي	١٥
٨١	جندب بن جنادة	اشتكى رسول الله	١٦
٩٣	عائشة بنت أبي بكر	لو تعلمون ما اعلم	١٨
٩٥	أبو هريرة	تطعم الطعام	١٩

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الاسم
٨٩	الأبنوسي
٧٨	احمد بن حنبل
٨٦	ابن إسحاق
٦٧	أنس بن مالك
٧٧	البخاري
٤٧	أبوبكر الصديق
٤٢	بلال بن رباح
٧٨	البیهقي
٨١	جندب بن جنادة
٧٩	ابن حجر
٤٧	خديجة بنت خويلد
٨٧	داود بن ابي هند
٦٨	أبو الدرداء
٨٨	الربيع بن حبيب

٣٣		أبو هريرة
٧٧		الزهري
٨٠		ابن سعد
٤٨		أبو سفيان
٩٠		أبو شامة
٨٧		الشعبي
٣٢		عائشة بنت ابي بكر
٤٧		عامر بن فهيرة
٣٢		ابن عباس
٧٨		عبدالرزاق بن همام
٦٨		عبد الله بن رواحة
٩٠		المقدسي
٧٧		عروة بن الزبير
٨٦		ابن عساكر
٧٩		عقيل بن خالد
٧٩		علقمة بن قيس
٤٣		أبو عيسى الترمذي

٨٠		المباركفوري
٧٨		مسلم
٧٧		معمر بن راشد
٢٧		النحاشي
٧٨		أبو نعيم الأصفهاني
٣٣		أبو هريرة
٩٠		الواقدي
٧٨		يونس بن يزيد
أعلام المستشرقين		
٢١		أ.ج. فينسينك
٢١		بارون كارادي فو
١٧		بطرس المحترم
٤٨		بلاشير
٢٩		تريتون
٢٢		توماس أرنولد

١٦		جرير دي أولياك
١٧		قسطنطين الإفريقي
٢١		جولد زيهر
٢١		د . ب . ماكدونالد
٢٢		سلفستّر دي ساسي
٢١		ع. فون جرونيباوم
٢٢		غوستاف لوبون
٣٨		فارغليري (ايطالية)
٤٩		فيليب حتى (لبناني)
٧٤		كارليل
٧٥		ه . ج . ويلز
٢٢		هادريان ريلاند
٢٣		وات مونت جمري
٢٢		يوهان ج . رايسكه

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الاستشراق أهدافه ووسائله، محمد فتح الله الزياي . دار قتيبة.
٣. الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين النعيمي . بدون ناشر.
٤. الاستشراق والتبشير. د. محمد السيد الجليند . دار قباء.
٥. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زفروق. بدون ناشر.
٦. الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى بن حسني السباعي ١٣٨٤هـ .
دار الوراق-المكتب الإسلامي. (بدون تاريخ) .
٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر بن عبد البر ٦٣هـ . تحقيق: علي البجاوي
دار الجيل ، الطبعة الأولى .
٨. الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر ٨٥٢هـ . تحقيق: علي محمد
البجاوي. دار الجيل ، الطبعة الأولى .
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي ١٣٩٣هـ .
دار الفكر.
١٠. الأعلام، خير الدين الزركلي ١٣٩٦هـ . دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر .
١١. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي الحسيني ١٢٠٥هـ . تحقيق:
مجموعة من المحققين . دار الهداية.
١٢. تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ . دار الكتب العلمية ،
١٣. تذكرة الحفاظ ، الذهبي ٧٤٧هـ . تحقيق: زكريا عمير ات . دار الكتب العلمية ، الطبعة
الأولى .

- ١٤ . تفسير البغوي ، المسمى " معالم التنزيل " ، محيي السنة البغوي ٥١٦ هـ . تحقيق : محمد النمر ، وآخرون . دار طيبة ، الطبعة الرابعة .
- ١٥ . تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء ابن كثير ٧٧٤ هـ . تحقيق : سامي بن محمد سلامة . دار طيبة ، الطبعة الثانية .
- ١٦ . تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني . تحقيق : محمد عوامة . دار الرشيد . الطبعة الأولى .
- ١٧ . تهذيب التهذيب ، الحافظ ابن حجر . دار الفكر ، الطبعة الأولى .
- ١٨ . التيسير بشرح الجامع الصغير ، عبدالرؤوف المناوي ١٠٣١ هـ . مكتبة الإمام الشافعي ، الطبعة الثالثة .
- ١٩ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦ هـ . تحقيق : عبدالرحمن اللويحق . مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى .
- ٢٠ . الجامع الصحيح " صحيح البخاري " ، محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦ هـ . تحقيق : د . مصطفى ديب . دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة .
- ٢١ . الجامع الصحيح المسمى " صحيح مسلم " ، مسلم بن الحجاج ٢٦١ هـ . دار الجيل - دار الأفاق الجديدة .
- ٢٢ . الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم ٣٢٧ هـ . مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى .
- ٢٣ . خاتم النبیین ﷺ ، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة ١٣٩٤ هـ . دار الفكر العربي .
- ٢٤ . دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ، محمد ناصر الدين الألباني ١٤٢٠ هـ . المكتبة الشاملة بإشراف مكتب الدعوة بالروضة .

- ٢٥ . الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري ١٤٢٧ هـ . ١ - دار الهلال ، الطبعة الأولى .
- دار العصماء ، الطبعة الأولى (مع بعض التعديلات والزيادات من د. علاء الدين زعتري ، وغسان محمد الحمدي) .
- ٢٦ . ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، محمد ياسين . مكتبة الجامعة الأزهرية ، الطبعة الأولى .
- ٢٧ . ردود على شبهات المستشرقين، يحيى مراد . بدون ناشر، وبدون طبعة .
- ٢٨ . الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، حسين حسيني . دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى .
- ٢٩ . زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٥٩٧ هـ . المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة .
- ٣٠ . زهرة التفاسير، أبو زهرة . دار الفكر العربي .
- ٣١ . سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصرالدين الألباني ١٤٢٠ هـ . مكتبة المعارف . الطبعة الأولى .
- ٣٢ . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني . دار المعارف . الطبعة الأولى .
- ٣٣ . سنن الترمذي ، محمد بن عيسى ٢٧٩ هـ . تحقيق : أحمد محمد شاكر، وآخرون . دار إحياء التراث العربي ، (بدون تاريخ) . (الأحاديث مذيلة بأحكام الشيخ الألباني)
- ٣٤ . السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام المعافري ٢١٣ هـ . تحقيق : طه عبدالرؤوف . دار الجيل .

- ٣٥ . السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، ابن كثير. تحقيق: مصطفى عبدالواحد. دار المعرفة.
- ٣٦ . شرح ألفية السيوطي المسمى "إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر"، محمد بن علي آدم . مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الرابعة .
- ٣٧ . شرح الحديث المقتفي في مبعث النبي المصطفى ﷺ، أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامة ٦٦٥هـ. تحقيق: جمال عزون. مكتبة العمرين العلمية. الطبعة الأولى .
- ٣٨ . شرح السنة، البغوي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط —محمد زهير الشاويش . المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية .
- ٣٩ . شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى .
- ٤٠ . الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٣٠هـ . تحقيق: محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى .
- ٤١ . فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر . دار المعرفة .
- ٤٢ . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ. دار ابن كثير - دار الكلم الطيب ، الطبعة الأولى .
- ٤٣ . فقه السيرة، محمد الغزالي. تحقيق: العلامة الألباني. دار القلم. الطبعة الأولى .
- ٤٤ . مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦١، الإصدار من رجب إلى شوال سنة ١٤٢١هـ الجزء رقم : ٦١ .
- ٤٥ . محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه، د. نبيل لوقا بباوي. دار السعادة .

- ٤٦ . مختار الصحاح، الرازي ٦٦٦ هـ. تحقيق: محمود خاطر. مكتبة لبنان ناشرون.
- ٤٧ . المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شُهبة ٤٠٣ هـ. مكتبة السنة ، الطبعة الثانية .
- ٤٨ . المستشرقون والإسلام، المهندس زكريا هاشم زكريا. طبع بإشراف محمد توفيق عويضة.
- ٤٩ . المستشرقون والتنصير، علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- ٥٠ . مسند الحميدي، عبدالله بن الزبير الحميدي ٢١٩ هـ. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية - مكتبة المتنبّي.
- ٥١ . مسند الإمام الربيع بن حبيب، الربيع بن حبيب الأزدي. تحقيق: محمد إدريس - عاشور بن يوسف. دار الحكمة - مكتبة الاستقامة.
- ٥٢ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي ٧٧٠ هـ. المكتبة العلمية.
- ٥٣ . معترك الأقران في إعجاز القرآن ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ. دار الكتب اعميه ، الطبعة الأولى .
١٢٦
- ٥٤ . معجم البلدان، ياقوت الحموي ٦٢٦ هـ. دار الفكر.
- ٥٥ . معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي - حامد قنبي. دار النفائس ، الطبعة الأولى .
- ٥٦ . المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون . تحقيق : مجمع اللغة العربية . دار الدعوة .
- ٥٧ . مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُرْقاني ١٣٦٧ هـ. مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة .
- ٥٨ . الموسوعة العربية العالمية، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على

. النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International .

٥٩ . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي،

ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

٦٠ . موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي. دار العلم للملايين. الطبعة الثالثة .

٦١ . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية

للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. دار الندوة

العالمية ، الطبعة الرابعة .

٦٢ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الإمام الذهبي . تحقيق: علي معوض - عادل عبد

الموجود . دار الكتب العلمية.

٦٣ . نبوة محمد ﷺ في الفكر ١١ ١٢٧ ، المعاصر، د. لخضر شايب. مكتبة

البيكان.

٦٤ . النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ٦٠٦ هـ . تحقيق: طاهر الزاوي-محمود

الطناحي . المكتبة العلمية .

المراجع الأجنبية :

٦٥ . العقيدة والشريعة في الإسلام، المستشرق جولد زيهر. ترجمة وتعليق د. محمد يوسف

موسى، وآخران. دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية .

٦٦ . محمد ﷺ في مكة، المستشرق الإنجليزي ويليام مونت جمري وات. ترجمة: عبد الرحمن

عبد الله الشيخ . الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المراجع الالكترونية :

٦٧. ادعاء محاولة النبي ﷺ الانتحار، موقع بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات. على الرابط

<http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-03-0009&value=&type>

٦٨. ترجمة المؤلف صفي الرحمن المباركفوري، موقع المكتبة الشاملة، برعاية مكتب الدعوة بالروضة. على الرابط

<http://shamela.ws/index.php/author/451>

٦٩. شبهات حول المكي والمدني، مصطفى مسلم. شبكة الألوكة الثقافية. تاريخ الإضافة ١٤٣٤/٨/٢ هـ - ٢٠١٣/٦/١٠ م. على الرابط

[/http://www.alukah.net/sharia/10331/55834%20](http://www.alukah.net/sharia/10331/55834%20)

٧٠. شبهة اتهام النبي ﷺ بالإفك والكذب، موقع بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات. على الرابط

<http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-02-0004&value=&type>

٧١. شبهة الزعم أن محمدًا ﷺ كان داعيًا اشتراكياً لا رجل دين، موقع بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات. على الرابط

<http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=02-04-0016&value=&type>

٧٢. قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، موقع صيد الفوائد. على الرابط

[/http://www.saaaid.net](http://www.saaaid.net)

٧٣. المصادر الخيالية في دراسات المستشرقين للقرآن الكريم، د. محمد بهاء الدين. على
الرابط

<http://mlffat.tafsir.net/index.php?action=viewfile&id=1115>

٧٤. مفهوم الاستشراق، أنور محمد زناقي. شبكة الألوكة الثقافية. تاريخ الإضافة
١٣/١/١٤٣٤ هـ - ٢٦/١١/٢٠١٢ م. على الرابط

[/http://www.alukah.net/culture/0/47002](http://www.alukah.net/culture/0/47002)

٧٥. موقع المعاني

http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A&word=%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%85%D9%84%D8%A9
9

٧٦. موقع المقالات

<http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=87576>

٧٧. موقع ملتقى أهل الحديث. على الرابط

www.ahlalhdeeth.com

المراجع الأجنبية :

٧٨. مذاهب التفسير الإسلامي، جولد زيهير . على الرابط

<http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb180034-143216&search=books>